جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة ـ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية
قسم العلوم الإجتماعية

مذكرة شهادة الماستر أكاديمي
ميدان : العلوم الإجتماعية
الشعبة : فلسفة ـ تخصص تاريخ الفلسفة

بعنوان :

الفلسفة

عند جيل دولوز بين المفهوم و الوظيفة

إعداد الطالب: جمال أحميداتو

نوقشت علنابتاريخ : 03 جـــــــــوان 2018

بحضور اللجنة المكونة من السادة :

الأستاذ	عاشور بن قويدر	أستاذ مساعد	جامعة قاصدي مرباح ورقلة	رئيسا
الدكتور	رياض طاهير	أستاذ محـــــاضر	جامعة قاصدي مرباح ورقلة	مشرفا
الدكتور	أحمد زيغمي	أستاذ محـــــاضر	جامعة قاصدي مرباح ورقلة	مناقشا

السنة الجامعية 2018/2017

الإهـــداء

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين الحمد لله الذي تتم به الصالحات أهدي هذا العمل إلى : من ربتني وأنارت دربي وأعانتني بالصلوات والدعوات، إلى أغلى إنسان في هذا الوجود إلى من عمل بكد في سبيلي وعلمني معنى الكفاح وأوصلني إلى ما أنا عليه الى والدي طيب الله ثراهم الى من قاسمني مر الحياة وحلوها والتي كانت خير داعم وسوف تبقى إلى التي أعانتني وصبرت علي في كل الظروف إلى الذين نفني أعمارنا من أجلهم أبنائي الأعزاء ، إلى من قاسموني رحم أمي وحب أبي واخوتـــي وأولادهم وأحفادهم إلى كل أصدقائي الأعزاء و زملائي في العمل الى كل من علمني حرفا أنار به دربي إلى أساتذتي الأفاضل الى زملائي وزميلاتي بقسم الفلسفة

الدفعة "2016- 2018"

الى روح الأستاذ الطاهرة زقعيط الصغير

إلى كل من ذكره قلبي ونسيه قلمي اليكم جميعا أهدي هذا العمل

شكـر

شكر و عرفان :قال رسول االله صلى االله عليه و سلم " من لم يشكر الناس لم يشكر االله "
صدق رسول االله صلى االله عليه و سلم الحمد الله على إحسانه و الشكر له على توفيقه و
إمتنانه و نشهد أن لا إله إلا االله وحده لا شريك له تعظيما لشأنه و نشهد أن سيدنا و نبينا
محمد عبده و رسوله الداعي إلى رضوانه صلى االله عليه و على آله و أصحابه و أتباعـه
و سلم .بعد شكر االله سبحانه و تعالى على توفيقه لنا لإتمام هذا البحث المتواضع أتقــدم
بجزيل الشكر إلى الوالدة العزيزة التي شجعتني على الإستمرار في مسيرة العلم والنجاح
،و إكمال الدراسة الجامعية و البحث ؛ كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى مـن شرفنــي
بإشرافه على مذكرة بحثي الأستاذ " رياض طاهير "الذي لن تكـفي حروف هـذه المذكرة
لإيفائه حقه بصبره الكبير علي، ولتوجيهاته العلمية التي لا تقـدر بثمن؛ و التــي ساهمت
بشكل كبير في إتمام و إستكمال هذا العمل؛ إلى كل أساتذة قسـم الفلسفة ؛ كما أتوجه
بخالص شكري و تقديري إلى كل من ساعدني من قريب أو من بعيد على إنجاز و إتمام
هذا العمل .

قائمة الفهرس

العـــنوان	الصفحة
إهداء	II
شكر	III
الملخص	IV
الفهرس	V
مقدمـــة	أ- و
الفصل الأول : الفلسفة بحث في المفهوم و المعنى :	**1**
I – المبحث الأول : مفهوم الفلسفة قبل دولوز:	**2**
I – 1– النمودج الشرقي :	**2**
I – 2– النموذج اليوناني :	**3**
I – 3 – النموذج الوسيط :	**6**
I – 4 – نموذج الحداثـة و ما بعدها :	**8**
II – المبحث الثاني : مفهوم الفلسفة عند دولوز	**13**
II – 1 – السياق العام الذي ظهر فيه دولوز :	**13**
II – 2 – ماهية الفلسفة عند دولوز :	**15**
II – 3 – الحاجة إلى إبداع المفاهيم عند الدلوز :	**18**
III – المبحث الثالث: صورة الفيلسوف عند دولوز :	**21**
III–1– نقد المسلمات :	**21**
III–2 – منطق الكثرة:	**27**
III–3 – الفيلسوف صديق الحكمة :	**30**
الفصل الثاني : رحلة بناء المفهوم عند دولوز	**35**
I – المبحث الاول : خصائص المفهوم الدولوزي	**36**
I– 1– لاتناهي المفهوم :	**36**
I– 2–الصيرورة المتماسكة :	**37**
I– 3 نقطة التركيز او التكثيف :	**38**

II المبحث الثاني : مكونات المفهوم عند دولوز :	**39**
II–1–مسطح المحايثة :	**39**
II–2 الشخصيات المفهومية :	**44**
III– المبحث الثالث : العلاقة بين الابداع و المفهوم:	**48**
III– 1 مفهوم الابداع و التفكير الابداعي:	**48**
III– 2 الفرق و الابداع :	**54**
III– 3 إبداع المفهوم بين العلم و الفلسفة	**57**
الفصل الثالث : وظيفة الفلسفة عند دولوز	**61**
المبحث الأول: الفلسفة كإبداع المفاهيم :	**62**
I . 1 إبداع المفاهيم وظيفة أولي :	**62**
I . 2 مفاهيـــم دولوزية :	**64**
I . 3 الكتابة الدولوزية	**70**
II– المبحث الثاني : مجالات التفلسف الدولوزي :	**73**
II–1 مشـكـلة الحريــة :	**76**
II–2 الفلسفة والسياسية :	**78**
II– 3 الفلسفة و الفن :	**78**
III– المبحث الثالث : مقاربة نقدية	**83**
III–1–المقاربة النقدية الاولى:	**83**
III–2–المقاربة النقدية الثانية :	**85**
الخـاتمة	**89**
المراجـع	**92**

مقـــــــــــدمة

إن الفلسفة سؤال و رصد مستمرودائم لمسار الحياة الإنسانية بكل أبعادها المختلفة ، و عبر تاريخها ، لهذا نجدها تتنوع و تختلف من زمن لأخر ، حسب العوامل المتحكمة فيها سواء منها التي تعود إلى البيئة المحيطة بالإنسانّ أو التي تعود للإنسان ذاته في خضم التطورات الحاصلة في حركة الفكر ، أو حتى في العقل نفسه الذي صار مسؤولا عن كثير من الإنتاجات ، ربما أعتاها و أضخمها التكنولوجيا الحديثة بكل ما لها و ما عليها ،وحتى العقل مرتبط بشكل أوبأخر بمصير الإنسان الذي أصبحت تحكمه موازين قوي تعود فيها الغلبة لصاحب الإبداعات سواء كانت أدوات علم أو آلات حرب .

و ما ميّز هذه المرحلة المعاصرة هو سيطرة الدولة الرأسمالية بإعتبارها اليوم دولة إستراتيجية في كل دواليب العلم و المعرفة أو حتى في وسائل الإعلام التى أصبحت هي الأخرى تحاول أن تقحم نفسها في صناعة الحقيقة .

في ظل هذه الأجواء عاش جيل دولوز(Gilles Deleuze1925_1995) * الذي ينتمي إلى فلاسفة ما بعد الحداثة ، حتى و إن كان هو نفسه يرفض هذا الإنتماء ، رغم إنه أستعمل نفس المصطحات التي يستعملها من ينتمي إلى هذه المرحلة .

لذلك نريد أن نتحدث عن إمكانية وجود فلسفة في المرحلة المعاصرة ، دون ربطها ، بما سبقها من فلسفات و خاصة فلسفة الحداثة . و عليه فإن الإشكالية التي نريد طرحهافى هذا الإطار تكون كما يلي :هل الفلسفة بصورتها الراهنة لا تزال نشاط عقليا مجردا أم أنها

*ـ جيل دولوز فيلسوف و ناقد أدبي و سينمائي فرنسي ولد في باريس عام 1925م و توفي عام 1995م عاش أغلب حياته في باريس ، أهتم بوجه خاص بدراسة تاريخ الفلسفة ، له عدة مؤلفات منها و(نيتشة و الفلسفة) 1962م، (كتاب ما الفلسفة) 1991 م، وله مؤلفات آخرى عديدة و قد عرف بنقده لجميع الفلسفات التي سعت الى إلغاء الإختلاف .

تطورت إلى أشكال أخرى من النشاط الفكري مع دولوز ؟ أو بعبارة أخري, ماهومفهوم الفلسفة عند دولوز؟ وماهومفهوم المفهوم؟وكيف يتم بناء المفهوم الفلسفي حسب دولوز؟ وماهي وظيفة الفلسفة حسبه؟

لهذا حاولت أن أستعين بمجموعة من المناهج التي قد ساعدتني على محاولة الإجابة على الإشكالية المطروحة من بينها المنهج التاريخي ، لأن في تاريخ الفلسفة هناك من أظنى عقله و أستهلك وقته في الجري وراء الحقيقة طيلة هذه القرون ، حتى نصل إلى مرحلة دولوز المعاصرة و نقف على ما يميّزها عن سابقها و خاصة فكرة التشظي التي جعلت الفلسفة تدخل حكم التعميم و تصير جزءا من الثقافة ، و هنا تبدأ معركة الإختلاف بين مؤيد للهوة بين الثقافات و بين من يدعـو إلى إحترام كل الخصوصيات الثقافـية .

ثم بعد ذلك المنهج التحليلي لتحليل مختلف أفكارو مفاهيم جيل دلوز كونها تحمل نوعا من الغرابة مقارنة بغيره من الفلاسفة .

ثم بعد ذلك أستخدمت المنهج النقدي الذي تقتضيه الدراسات الفلسفية من خلال تقييم و نقد أفكار دولوز .

و عليه قد تم إتباع خطة تتكون من ثلاثة فصول رئيسية ، يتركز الفصل الأول على الفلسفة بحث في المفهوم و المعنى ، و من خلاله تعرضت إلى ثلاثة مباحث أسياسية يقتصر المبحث الأول على الفلسفة قبل دولوز من خلاله عالجت أربعة نقاط أساسيــة :

أولا: الفلسفة في العصور القديمة و فيها رجعت إلى الفلسفة الشرقية و كيف كانت تنظر للوجود من خلال الدين ، ثم الفلسفة اليونانية و ما أحدثته من تغيير إن على مستوى البحث أو على مستوى الكتابة ، حيث أصبح في الإمكان التعامل مع تراث مكتوب .

ثانيا : الفلسفة في العصور الوسطى و ما تميّزت به من توفيق بين العقل و النقل و كيف كانت المؤسسة الدينية ترعى الحركة العلمية والفلسفية و تقوم بتوجيهها.

ثالثا : فلسفة العصر الحديث و علاقتها بالتنوير و نقد العقل ، و حتى نقد الإخفاقات التي وقعت فيها .

رابعا : فلسفة ما بعد الحداثة التي تميزت بالتشظي و الإختلاف و غياب الأنساق ثم يأتي المبحث الثاني و هو مخصص لدلالة الفلسفة عند دولوز من خلاله عالجت ثلاثة نقاط أساسية و هي : السياق العام الذي ظهر فيه دولوز ، و ثم بعد ذلك تعريف الفلسفة عند ه الذي حاول من خلاله التأسيس إلى مركز جديد للمفهوم من خلال الفلسفة ذاتها.

ثم تعرضت إلى الحاجة إلى إبداع المفاهيم باعتبار هذه الأخيرة ضرورة مرتبطة بالأحداث ، ثم بعد ذلك عرجت على المبحث الثالث ، صورة الفيلسوف عند دولوز و ذلك من خلال ثلاث نقاط أساسية أولها نقد المسلمات من أجل تجاوز الدوغماتية ,و منطق الكثرة الذي أقام به منعرجا من خلاله ظهرت قراءة إختلافية أساسها التنوع .

ثم بعد ذلك نأتي إلى الفيلسوف كصديق الحكمة ، الذي لم يعد مرتبط بشكل معين من أشكال النظام أو النسقية .

أماالفصل الثاني المعنون : برحلة بناء المفهوم عند دولوز و فيه أيضا ثلاثة مباحث أولها يبحث في خصائص المفهوم الدولوزي ، من خلال ثلاثة صفات أساسية و هي: لا تناهي المفهوم ،و الضرورة المتماسكة للمفهوم ,ثم بعد ذلك نقطة التركيز أو التكثيف أما المبحث الثاني فركزت على نقطتين أساسيتين:تشمل الأولي مسطح المحايثة الذي يشكل الإطار الفكري الخلفي للفيلسوف و الذي يعمل بعيداعن المسلمات الخارجية .

والثانية خصصناها للحديث عن الشخصية المفهومية التي تعتبر غلاف للفيلسوف من خلاله يكشف عن أفكاره ثم المبحث الثالث الذي تحدثت فيه عن العلاقة بين المفهوم و الإبداع وفق ثلاثة نقاط وهي الإبداع و التفكير الإبداعي ، حيث تتم الإشارة فيه إلى كل ما هو جديد ، ثم التعرف على التفكير الإبداعي الذي ينطوي على عوامل إنفعالية و أخلاقية متداخلة تشكل حالة ذهنية نشطة ، ثم بعد ذلك الحديث عن الفرق و الإبداع لأن دولوز كان يهدف إلى إعادة النظر في شروط الخطاب الفلسفي .

و ثم بعد ذلك إبداع المفهوم بين العلم و الفلسفة و التعرف على الفرق بينهما في عملية الإبداع .

لأنهى بحثى هذابفصل ثالث وأخيروالذي تناولت فيه وظيفة الفلسفة من خلال ثلاثة مباحث أسياسية ،المبحث الأول خصصته للحديث عن الفلسفة كإبداع للمفاهيم من خلال ثلاثة نقاط ،إبداع المفاهيم كوظيفة أولى ،و باعتبار أن جهد الفلسفة في هذا العصر يعمل بشكل دائم

على بناء مفاهيم جديدة ، ثم كنقطة ثانيةالشخصية المفهومية ، ثم في العنصر الثالث عرّجت على مواصفات الكتابة عند جيل دولوز .

ثم بعد ذلك المبحث الثاني الذى كان عنوانه مجالات التفلسف الدولوزي و فيه تمت الإشارة إلى ثلاثة نقاط أساسية الأولى : كيف عالج دولوز مشكلة الحرية ثم بعد ذلك علاقة الفلسفة بالسياسة و خاصة عندما تعرض دولوز لنقد الدولة الرأسمالية ، وعلاقة الفلسفة بالفن و كيف كان ينظر دولوز للفن كأداة لتشخيص الأمراض لنصل إلى نهاية الفصل الأخير من خلال المبحث الثالث الذي يحمل مقاربتين نقديتين لجيل دولوز، ينتقده فيها من قرأ له و من حاوره.

وتهدف هذه الدراسة إلى تحقيق من جملة الأهداف:

- محاولة إضافة و إثراء للمكتبة الجامعية لعلها تمهد الطريق لأبحاث أعمق .
- معرفة العوامل الكامنة وراء تغير مفاهيم الفلسفة عبر العصور .
- التعرف على الفلسفة المعاصرة بشكل أعمق من خلال أنموذج جيل دولوز .
- تقاطعات الفلسفة المعاصرة مع بقية ميادين المعرفة الأخرى .
- أهمية المفاهيم الفلسفية في تحريك المجالات المعرفية المختلفة .

كل هذه الأهداف كان الدافع إليها جانب ذاتي هو ميلي إلى التخصص في الفلسفة الغربية المعاصرة من أجل متابعة تفاصيل الحركة الفكرية على مستوى المجتمع الغربي بشكل عام و معرفة الصورة الراهنة لفعل التفلسف بشكل خاص.

أما الجانب الموضوعي و في خضم تعدد التيارات الفلسفية نحاول معرفة قيمة الفلسفة المعاصرة في ظل المنظومة العلمية المعاصرة .

و لكن طبيعة البحث العلمي لا تخلو من صعوبات تواجه الباحث أثناء بحثه خاصة و نحن أمام فلسفة قائمة على التشظي ، و تبحث في الهامش و تنفر مما هو سردي كلي أو ايديولوجي .

و لعل أول هذه الصعوبات الفقر المعرفي و كذا رداءة الترجمة للمصادرة المتوفرة و المكتوبة بلغتها الأم ، ضف إلى ذلك غرابة المصطلحات التي أستعملها جيل دولوز و التي يصعب أحيانا تفسيرها نظرا لإرتباطها بتخصصات غير فلسفية ، ضف إلى ذلك تشظي المعرفة الفلسفية المعاصرة ، التي تجوب كل جوانب المعرفة الإنسانية.

و يبقى أملنا من خلال هذا البحث أن نحقق و لو الشئ القليل من الأهداف التي نرجو الوصول إليها ، و أن يشكل بداية للبحث في فلسفة جيل دولوز .

الفصل الأول

الفلسفة بحث في المفهوم و المعنى

المبحث الأول : مفهوم الفلسفة قبل دولـــوز

المبحث الثاني : مفهوم الفلسفة عند دولـوز

المبحث الثالث : صورة الفيلسوف عند دولوز

الفصل الأول ـــــــ

من خلال هذا الفصل سنحاول أن نتناول ثلاثة مباحث رئيسية والتي من خلالها نعرّج للحديث عن دلالة الفلسفة قبل دولوز في المبحث الأول ، أما في المبحث الثاني سوف نتحدث عن فلسفة الدولـوزية ، ثم في المبحث الثالث نتطرق إلى صورة الفيلسوف حسب تصور دولوز .

I- المبحث الأول : مفهوم الفلسفة قبل دولوز:

سوف نعالج في هذا المبحث مفهوم الفلسفة عبر العصور من خلال مجموعة من النمادج بداية من الفلسفة الشرقية ، ثم العصر اليوناني ، ثم الوسيط ، ثم بعد ذلك الحديث ليتسنى لنا معرفة كيف تطور الحقل الفلسفي و موضوعاته ، في هذه المراحل الفكرية المتتابعة و كذا العوامل الكامنة وراء ذلك .

1- النمودج الشرقي :

لما كان مهد النظر العقلي هو الشرق القديم ، وجب علينا أن نتعقبه في مواطن نشأته ونموه لتتيسر لنا متابعته في شبابه و نضوجه ، و لكن كثيرا من العلماء المحدثين يرون أن بحثا من هذا النوع يكون من العسر بموضع إن لم يكن متعذرا لسببين :

الأول : أن فكرة بدء الخلق في الشرق تستمد عناصرها من الدين أكثر مما تستمدها من الفلسفة ، و إن شئت فقل أن الدين و الفسلفة في الشرق شئ واحد ، و لهذا لم يعرف التاريخ نظرية فلسفية ظهرت في الشرق القديم مستقلة عن الدين[1] .

[1] ـ محمد غلاب، الفلسفة الشرقية ،(مصر؛ مطبعة البيت الأخضر 1938)،ص،11.

و الثاني : أن المصادر التي وصلت إلينا عن فلسفة تلك الشعوب الشرقية قليلة لا تكفي لإشباع الرغبة العلمية عند الدارس المتقصي .

لهذين السببين تعوّ د أكثر العلماء أن يبدؤا بحوثهم عن الفكر بالفلسفة الإغريقية[1]

و لو نأخذ الفلسفة الهندية كنموذج نجدها تتأسس على مشكلة جوهرية ، و هي مشكلة تأويل وفهم عقيدة التناسخ التي كانت عامة في تلك البلاد ثابتة ثبوتا غير قابل للمناقشة[2] و منه فالفلسفة كانت تمارس عند الشعوب الشرقية ، حتى و إن كانت مرتبطة بالدين لأن الإنسان بطبيعته يتساءل عن وجوده في الحياة ، و عن إمكانية إستمرار هذا الوجود بعد الموت ، و كذا العلاقة التي تربط الحياة الدنيا بالأخرة ، كلها محاولات أولى ساهمت في بلورة الفكر الفلسفي بأشكال متنوعة أحيانا تأخذ طابعا عقليا نظريا و أحيانا أخرى تأخذ طابعا عمليا يرتبط بالسعادة و الأخلاق وتحقيق المنفعة.

2- النموذج اليوناني :

يمكن للفلسفة أن تعبر عن نفسها في صورة نظام خاص مكتمل ، يحمل الطابع الشخصي لصاحبه، و قد يأخذنا الحديث عن الفلسفة اليونانية و مفهومها ، البدأ من سقراط SORCATE 469- 399 ق. م) لما يمثله من أهمية في العقل الفلسفي اليوناني من جهة و تحديده لمفهوم الفلسفة على وجه الخصوص من جهة ثانية بإعتباره نقطة تحول في المجال الفلسفي من جانبه العملي و ما مثّله عصر الحضارات الشرقية القديمة ، إلى الجانب النظري

[1] ـ محمد غلاب ، الفلسفة الشرقية ، مرجع سابق ،ص ، 12 ،
[2] ـ المرجع نفسه ، ص 118 ،

، و خاصة في محاوارته الشهيرة حيث كان سقراط لا يتعلم من الكتب لتحديد معنى الفلسفة ، لأنه لم يكتب شيئا ، و لأن الفلسفة بالنسبة له هي : « ليست بعمل الغرض منه إشباع حب استطلاع الذهن. إنها البحث الصبور الدائب عن الشئ الوحيد الذي يمكنه أن يكفل للإنسان السعادة الحقيقية في هذا العالم و العالم الأخر» [1].

و لعل سقراط قد نشأ في مرحلة أنتشرت فيها السفسطانية * و عرفت ظروفا سياسية متميزة أتصفت بإنتشار فوضى الحكومات الإرستقراطية و الديمقراطية الشئ الذي جعل السفسطائيين ينادون بأن الفرد مقياس كل شئ ، و بأن الحواس أساس المعرفة ، و بأن حقائق الأشياء لا يمكن أن تعرف معرفة يقينية ، ليتصدى لهم سقراط من خلال تهكم أفلاطون على لسانه (PLATON 427- 347 ق.م) فـي محاوراته المختلفة و خاصة محاورة جورجياس الشهيرة ، التي كشف من خلالها النوايا الســـيئة للسفسطائيين من خلال إستعمالهم للبيان إستعمالا لا أخلاقيا ، جعل من أفلاطون يقف ضد البـــيان ، محاولا أن يرتقي بالفلسفة إلى عالم المجردات لكي يتجرد من عالم المحسوسات و كل ما يحمله مـن ظواهر مزيفة لا تمثل الحقيقة.

فأفلاطون يعتبر من حيث المكانة مركزيا في الفكر اليوناني ، بحيـث ذهب إلى أن الفلسفة : "هي بحث عن الوجود الحق".[2] أي عالم المثل أو الكليات الأزلية ، التي يفصح

---

[1] أفلاطون : محاورة جورجياس ، تو، محمد حسن طاطا ، مراجعة ، على سامي النشار(مصر ، الهيئة العامة للتأليف و النشر ، 1970) ص،18 ،

* السفساطئية : أصل هذا اللفظ في اليونانية (سوفيسما Sophisma) و هو مشتق من لفظ (سوفوس Sophos) و معناه الحكيم الحاذق - و السفسطة عند الفلاسفة هي الحكمة المموهة و عند المنطقيين هي القياس المركب من الوهميات و الغرض منه تغليط الخصم و إسكاته ، نقلا عن جميل صليب المعخم الفلسفي .

[2] ماجد فخري ، أرسطوطاليس (بيروت ؛ المطبعة الكاثوليكية ، 1958) ، ص، 16 .

عنها عالم الحس إفصاحا ناقصا . لأن المحسوسات بالنسبة لأفلاطون ما هي إلا خيالات و أشباح لا تملك حقيقة بداتها ، بل بما تستمده من عالم المثل الأكمل.

و هكذا مع أفلاطون بدأت الفلسفة تعرف نوعا من العقلانية القائمة على البحث العقلي النسقي المبني على تصورات لعالم المثل الذي يشكل الحقيقة التي تعكس ظلها على عالم المحسوسات ، والتي هي عالـــم الأفكار .أما أرسطو (ARISTOTE 384- 322 ق.م) فقد عرّف الفسلفة أو الحكمة حسب شراحه بأنها : ‹‹ علم العلل الأولى ››[1] . بحيث كان أرسطو منشغلا بالبحث عن أسباب الوجود و التعرف على حقيقته و ذلك من خلال العلوم النظرية و على رأسها الفلسفة الأولى تم الرياضيات ، ثم العلم الطبيعي الذي يرتبط بدراسة الأجسام و علم النفس و قد يلحق به علم الطب و هذا ما جعل فلسفة أرسطو موسومة بالواقعية و التي تميزت بنقدها لنظرية المثل الأفلاطونية و التي ترى أن ما يدعوه أفلاطون مثلا خالدة بتجريدها عن الزمان و المكان ، ما هي إلا معاني محسوسة عامة يدركها العقل بعد تجريدها عن خصائصها المميزة للأفراد و إستبقاء المعنى المشترك.

يبدو لنا من خلال هذه النماذج المعروضة لبعض تعريفات الفلسفة عند اليونان ، هو أن التفكير الفلسفي اليوناني كان مرتبط بجملة من الشروط الموضوعية من بينها الحركية المعرفية للفلاسفة رغم ضيق الدائرة المعرفية التي كانت تتجلي على شكل شذرات لم ترق الى مستوى النسقية و المذهبية إلا مع أفلاطون وأرسطو ، حيث أصبحت الكتابة الميزة الأساسية

[1] يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، (القاهرة ، مطبعة لجنة التاليف و الترجمة و النشر ، 1930) ، ص،218 .

لكل عمل فلسفي ، وأتجه العقل إلى القضايا الكبرى التي شكلت للإنسان أنذاك نقاط بارزة كان لابد من التعرف عليها و فك ألغازها (أصل الكون ، جوهر الإنسان ...إلخ) والتعامل معها بصورة منهجية واضحة تمكنه من كشف الحقيقة و الوقوف على الحقائق الكبرى التي وصل إليها التفكير الفلسفي اليوناني من خلال مراحل تاريخية أنتقل فيها من الأسطورة إلى التفكير التأملي ، و تحول فيها من الطبيعة إلى الإنسان ، ثم إلى العقل ثم إلى الأخلاق ثم إلى التأسيس للفكر الفلسفي .

و عليه فالفلسفة من حيث مفهومها لا يمكنها الخروج من الظرف الزماني الذي نشأت فيه ، و ما دام لكل طور ملكاته و خصوصياته التي تميزه عن غيره فالمفهوم لا يمنح إعتباطيا أو ذاتيا بقدر ما يخضع لشروط موضوعية تدفع الفيلسوف إلى مسايرتها[1] .

3 – النموذج الوسيط :

شكلت العصور الوسطى مرحلة أخرى تختلف عما سبقها اختلافا كبيرا يجعلها تسير فلسفيا بإتجاه العلاقة بين الدين و الفلسفة ، باعتبار الكنيسة هي المؤسسة الأولى التي تفرض قوانينها على كل حركة علمية أو فلسفية .

يقول عبد الرحمن بدوي : ‹‹ إذا إنطلقنا من فيلون في العصور الوسطى الذي يعتبر مؤمنا بما جاءت به التورات فكلاهما الدين و الفلسفة يعبران عن الحقيقة ، رغم وجود صراع كبير بين الاثنين فحقائق الدين لا تستند إلى البرهان و الجدل كما هو الحال مع الفلسفة فكيف

[1] - يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية ، مرجع سابق،ص،219.

يمكن أن يستوعب العقل الذي يعتمد الإستدلال و القياس على الإيمان الذي هو تبرير لحقائق غير قابلة لأن تخضع لمنطقه ؟

و للإجابة عن هذا السؤال يلجأ فيلون إلى التبرير خلال اعتقاده بتأثير اليهودية في مجمل الفلسفة اليهودية ، و كذلك من خلال لجوءه إلى التفسير الرمزي للنصوص الدينية بطريقة تلائم ما جاءت به الفلسفة ››[1] .

وفق ذلك يكون فيلون قد مهد إلى بروز سمة أساسية ، ستكون الطابع العام لإشتغال الفلسفة في العصور الوسطى ، بشقيها المسيحية و المسلمة على حد سواء ، إنها إشكالية التوفيق بين العقل و النقل و التي ظهرت بفعل القطيعة المعرفية التي أحدثها الدين . و قد كان هناك إتجاهان يتصارعان يسعى كل واحد منهما إلى بسط نفوده الفكري على الأخر فهناك الإتجاه الأفلاطوني من جهة و الإتجاه الأرسطي من جهة أخرى[2]

فالإتجاه الأول يمثله أحسن تمثيل القديس أوغسطين(AUGUSTIN 354– 430 م) الذي كان موقفه توفيقيا بين العقل و الإيمان ، أما الإتجاه الثاني يمثله القديس توما الأكويني (THAMAS D'AQUIN 1225–1274 م) الذي أعاد الإعتبار المسلوب للفلسفة بعد الهيمنة التي تكاد أن تكون شاملة و مطلقة لسلطة الوحي و الدين طوال قرون[3] .

فالفلسفة في العصور الوسطى عند الغرب لم تستطيع أن تتجاوز ما تريده الكنيسة و هو تبرير الحقائق الايمانية تبريرا عقليا يرقى إلى إقناع الأتباع بصحة العقيدة أو ما تدعو له

---

[1]- عبد الرحمن بدوي ، خريف الفكر اليوناني . (ط3 ؛ القاهرة ، منشورات مكتبة الهيئة العربية مصر ، 1959)،ص،91 ،

[2]- عبد الرحمن بدوي ، فلسفة العصور الوسطى ، (ط3 ؛ بيروت ، دار القلم ،1979) ص،ي،

[3] - هاشم صالح ، مدخل الى التنوير الاوروبي ، (ط2 ؛ بيروت ، دار الطليعة للطباعة و النشر ،2007) ،ص،36 ،

الكنيسة ، في نوع من المجارات و إما لتجاوز القهر و ظلم الكنيسة وإما لتحرير العقل تدريجيا من سلطتها ، و هكذا فالفلسفة الوسطية دون أن ندخل في التخصيص للمواضيع التي عالجتها ، فهي الأخرى لم تبتعد عن الفكر اليوناني ممثلا في مثالية أفلاطون أو واقعية أرسطو.

4 – نموذج الحداثــة و ما بعدها :

إن تحديد مفهوم واحد للفلسفة في العصر الحديث في ظل الاتجاهات الفلسفية التي ظهرت في هذه الفترة ليس بالأمر السهل لأن تاريخ هذه الفترة متحرك و محب للحرب على حد تعبير فيلسوف البيولوجيا المعاصر فرانسوا داغوني (Francois Dagoni 1924 – 2015 م)[1]

فإذا كانت فلسفة العصور الوسطى تأسست على فكرة الخلاص بالاعتماد على الإله لا بالاعتماد على الذات ، و كل عمل فهو للوحي و ليس للعقل و الإرادة ، و عمل القداسة أكثر مما هو عمل الحكمة و لكن مع الفلسفة الحديثة بدى الأمر مختلف تماما ، و خاصة مع رونييه ديكارت (Rene DESCARTES 1596– 1650 م) الذي أنتهج منهج الشك و إتجه نحو الطبيعة و التجربـة .

‹‹ تبدو على ديكارت سيمياء الشك في كل شـئ ، يـري فيه دليل وجـوده (لكي نشك يجب أن نوجـد) و ماهـيته (كشئ مفكر ، يعني كفكر) و معيار الحقيقة كل ما أدركـه بوضوح و تميز مثل الكوجيتو(أنا ا أفكر إذن أنا موجود يمكن أخده كمؤكد حقا ››[2] .

[1]- عبد الرزاق بلعقروز ، السؤال الفلسفي و مسارات الإنفتاح (ط1 ؛ الجزائر ، منشورات الإختلاف ،2010) ،ص،79.
[2] أندري كونت سيونفيل ، الفلسفة ، تر، على أبو ملحم ، (ط1؛ بيروت ، بيروت ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر 2008)،ص،49.

فالفلسفة عند ديكارت أشبه بالشجرة جذورها الميتافيزيقا و جذعها الفيزيقا و فروعها الطب و الميكانيكا و الأخلاق ، فالفلسفة ، تبعا لهذا ، علم كلي ، تعني بالمبادئ ، و لا تهتم بالتفاصيل ، بحيث لا يزال المفهوم القديم المرتبط بالوجود يفرض نفسه .

وإذا اقتربنا من كانط صارت الفلسفة أكثر إرتباطا بالنقد، لأنه بحث في الشروط التي تجعل من أية معرفة ممكنة ، فالعصر كما كتب كانط في كتابه نقد العقل المحض هو عصر النقد .

و من الممكن اعتبار فلسفة عصر النهضة المرحلة التي تم فيها الانتقال من تفسير الطبيعة تفسيرا لاهويتا إلى تفسيرها علميا ، وتسخير المعرفة لخدمة الإنسان و تحسين الحياة إنما هي بمثابة الخطوة الضرورية إلى ظهور الحداثة الفلسفية هذه الخطوة التي حملت بين ثناياها كافة الأدوات التي وظّفها الفلاسفة لاحقا في التأسيس للحداثة الغربية ، خاصة ديكارت الذي بدأت معه ملامح عصر جديد يلوح في أفق الفلسفة[1]

و منه يبدو لي أن العقل بإحتلاله هذه المرتبة العالية التي من خلالها أصبح يدرس ذاته و ينتقدها و يسعى إلى فهم الطبيعة فهما رياضيا قابل للقياس يجعلها أكثر تقنينا نتيجة لسيطرة العقل و إعماله حتى صارت الذات الإنسانية مستبعدة التدخل نتيجة لإستحضار كل ما هو موضوعي حسابي و ربما صار الزمن بإعتباره صفة من صفات الحداثة التي أعطت للحياة صفة الرتابة و الإنتظام و الحساب و النمطية ، و حتى على الزمن نفسه .

[1] حيدر ناظم محمد ، إشكالية الفلسفة من النقد الأركيولوجي الى الإبداع المفهومي ، قراءة في فلسفة ميشال فوكو و جيل دولوز (ط1؛الجزائر ابن النديم للنشر و التوزيع ، 2005) ص،60 ،

و عليه يجدر بنا القول أن المفهوم الإشكالي للفلسفة من خلال ما تم عرضه عبر هذه الحقب التاريخية من اليونان إلى الحداثة قد تسايرت زمنيا مع مجالات فكرية و معرفية معينة تكون هي الأنموذج الذي يحدد الملامح العامة السائدة في تلك الحقبة التاريخية ، لطالما رافقت الفلسفة هذا الأنموذج لتسير وفق محدداته إما لتبرير فكرة ما أو تبرير ذاتها أو ربما كليهما معا ، و لنا في اليونان انموذج واضح، و منذ ذلك الحين أصبح للبحث في الفلسفة أسس تلازمه عبر تنوع سؤال الفلسفة من الوجود إلى القيم إلى سؤال التوفيق بين العقل و النقل إلى سؤال العقل نفسه ثم إلى سؤال اللغة ، لتحصل القطيعة مع المعارف القديمة و تحل محلها معارف جديدة ، ثم تأتي مرحلة ما بعد الحداثة التي يعتريها الغموض و ربما أكثر من لفظة الحداثة نفسها سواء من حيث المصطلح و مدلولة المفاهيمي ، أو ما حيث تاريخية ظهوره ، حيث يشير مصطلح ما بعد الحداثة إلى مرحلة تاريخية محددة ، فعندما بدأ بالإنتشار و الذيوع إنطلاقا من استخداماته الأولي مطلع الثلاثنيات من القرن المنصرم ، و دلالته واضحة المعالم ، بسبب تعدد إستخداماته بين المفكرين الذين أستخدموه في مجالات متنوعة تتوزع بين التاريخ و الفن و العمارة ، و النقد الأدبي إلا أن الذي حسم هذا الجدال على صعيد الفلسفة هو صدور كتاب (الوضع ما بعد الحداثي) للفيلسوف الفرنسي جان فرانسوا ليوتـار (Jean-François Léotard 1924- 1998م) حيث أصبح مرجعا و أنموذجا للكتابات الما بعد حداثوي[1] و قد ترجع نشأة ما بعد الحداثة إلى سببين رئيسيين .

[1] ـ محمد جديدي ، الحداثة و مابعد الحداثة في فلسفة ريتشارد رورتي ،(ط1 ؛ بيروت ،الدار العربية للعلوم ناشرون ،2008) ، ص ،142 ,

1- الثورة على الحداثة في مضمار الحركات الفنية المعاصرة ، خاصة تلك التي أهتمت بمجال المعمار ، فقد ثارت تلك الحركات على المعمار الحداثي الداعي إلى التقشف و العقلانية ، في الوقت الذي سعت ما بعد الحداثة إلى أبناء نموذج معماري يستبدل التقشف بالتنميق ، والتقليد بالإثـارة .

2- ظهور تيار فلسفي عرف بإسم ما بعد الحداثة ، و لعل أشهر ممثليه الذين ينضوون تحت هذا العنوان هم ميشال فوكو(Michel Foucault 19261984) ،جاك دريدا Jacque) (Derrida1930 2004، جيل دولوز ، فرانسوا ليوتار ، جان بوديار Jean Boudrillard1929) (2007 ، حيث يمكن تلخيص مجمل أطروحة هذا التيار في رفض شعار الأنوار ، بإعتباره مجرد وهـم .

إن الواقع لا يعدو أن يكون مجرد مرآة تعكس انهيار العقل الكلاسيكي . بمختلف أشكاله سواء تعلق الأمر باللاهوت المسيحي، أو النسق الهيجلي، أوالأيديولوجية الماركسية أو النزعة الوضعية . وقد تحولت ما بعد الحداثة إلى ساحة صراعات لأفكار متناقضة و قوى مختلفة لا يمكن تجاهلها هذا التحول جاء نتيجة الوعي بمشكلات الحداثة و عد مقدرتها على مسايرة الواقع بشروطه الجديدة إقتصاديا و سياسيا و إجتماعيا[1] .

و هذا ما جعل ليوتار إنطلاقا من مصطلح الميتا-حكايات أو السرديات الكبرى ، هذا المصطلح الذي أتخذ بعدا أساسيا في مجمل مشروعه النقدي ، إنما هو بمثابة بيان يوضح

[1] ـ حيدر ناظم محمد ، إشكالية الفلسفة ، مرجع سابق،ص ص،72-73.

أن المقولات الكلية التي انتجها العقل الغربي قد أفلت ، لم ينجح في تحقيق الوعود التي أطلقها المشروع[1]

و في هذا الجو المفعم بالإختلافات نشأ دولوز في ظل تيار نقـدي يرتكز على الخصوصيات الثقافية للشعوب المختلفة و ليس فرض الثقافة الأوربية عليها بصفتها ثقافة كونية مسيطرة .

II- المبحث الثاني : دلالــة الفلسفة عند دولوز

1 - السياق العام الذي ظهر فيه دولوز :

من خلال ما تطرقنا إليه في المبحث الأول ، و هو أفول السرديات الكبرى و تحديدا في اطار ما بعد الحداثة ، إذ إعتبرنا أن الإشكالية الفلسفة في هذه المرحلة تدور حول تساؤل أساسي مفاده : هل توجد هناك إمكانية و مساحة و فضاء للتفكير و التفلسف تقع خارج نتاجات فلسفة الحداثة باختلافاتها و ثوابتها و شعارتها و سردياتها الكبرى دون أية قصدية مسبقة أو إسقاط قسري يمارس على نمط التفكير ذاته[2] ؟

بمعنى هل نستطيع أن نتحدث عن الفلسفة دون ربطها بالسابق ، و خاصة المشروع الحداثي ؟ و كيف يمكن للعقل قول مختلف من خلال المتسق ؟ و كيف يمكن أن يخرج عن دوره التقليدي لينتج الإختلاف في إطار الفكر بوجه عام ، و التفلسف بوجه خاص ؟

---

[1] حيدر ناظم محمد ، إشكالية الفلسفة ، مرجع سابق ، ص ص ،72 - 74 ,

[2] - المرجع نفسه ،ص،149.

يمكن القول أن التوجه العام لفسلفة دولوز يسير بإتجاه المحاولات التي تسعى إلى تجاوز فلسفة الحداثة بمجمل مباحثها التقليدية ، في المعرفة و الوجود ، و القيم و تسعى أيضا إلى تقديم نموذج فلسفي يتم بناؤه وفق فهم معايير يعتمد مفصلين اثنين .

المفصل الأول : هو صياغة و سبك إصطلاح إشكالي يتسم بالغموض و الصعوبة و التعقيد في آن واحد[1]، و مكمن هذا الغموض الذي يحيط المصطلح الفلسفي الذي يقوم دولوز بسكه بإستمرار فيرجع إلى أسباب عدة ، منها محاولة دولوز إعطاء صفة مميزة للإصطلاح الفلسفي ، و إستعانته بفروع معرفية مغايرة ، و ليستعير منها مصطلحات خاصة بها ملبسا إيـاها ثوبا جديدا و معنى فلسفي و خاصة استعارته لمفاهيم علم الجغرافيا أو الفيزياء ، و من حيث الجدة على صعيد الطرح الفلسفي فتكمن محاولة دولوز في إضفاء القدرة على تقديم فهم متميز و ملفت للإنتباه لمصطلح الإشكال و علاقته بالفلسفة .

المفصل الثاني : يتعلق بالفلسفة بعدها فنا و عملية إبداع للمفهوم ، الذي يساوي و يقابل الإشكال ، هنا يتضح أن محاولة بناء نظرية عن الفكر عامة و عن فكر التفكير خاصة ، تكون فيها بعيدة و منفصلة عن أية فرضية للمعرفة ، تستحضر الذات العارفة موضوع المعرفة .

هذا يعني إختبار لقابلية و قدرة الفلسفة على الخروج من الأنماط التقليدية للتفكير التي دأبت الفلسفة على ممارستها ، سواء ثنائيات ديكارت أو ثلاثيات هيجلية ، الثنائيات التي تمثل ميلاد الحداثة.

[1] ـ حيدر ناظم محمد،إشكالية الفلسفة ،مرجع سابق ، ص،155.

و الثلاثيات التي أعلن صاحبها عن وصول البشرية في مسيرة تقدمها إلى مرحلة إكتمالها[1] ، يقول دولوز : ‹‹ بدأت إذن بتاريخ الفلسفة حينما كان لا يزال يفرض نفسه ، لم أكن أتوفر على وسائل التخلص منه كي أشتغل لحسابي الخاص، لم أكن أحتمل لا ديكارت أي الثنائيات و الكوجيتو، ولا هيجل أي الثالوت و عمل السلب هكذا كنت أحب كتّابا يبدون أنهم يشكلون جزء من تاريخ الفلسفة و لكنهم ينفلتون منه جزئيا أو كليا ، أمثال سبينوزا و هيوم و نيتشه و برغسون ، أعتقد أن همي تركز في جميع الأحوال على وصف هذه الممارسة للفكر من حيث كونها تتعارض مع الصورة التقليدية التي وضعتها الفلسفة في الفكر كي تفرض عليه الخضوع و تمنعه من العمل [2]›› .

فدولـوز يسعـى إلى الخوض في مناطـق أخرى تبتعد عن المركز و كل ما هو كلي ، و تقف عند الهوامش و اللامفكـر فيه و المسكوت عنه طوال عقود أو ربما قرون مضت ، و قد تكون هذه واحدة من المحاولات للهروب أو الإنفلات من السلطة التي تمارس من قبل تاريخ الفلسفة ذاته على حد قول دولـوز : ‹‹ لقد كان تاريخ الفلسفة دائما عاملا سلطاويا داخل الفلسفة ، كيف تودون التفكير دون قراءة أفلاطون و ديكارت و كانط و هيدجر [3]›› .

و عليه يمكن القول أن دولوز يؤسس للمفهوم كمركز جديد من خلال الفلسفة ذاتها كوظيفة تعمل على التجاوز لهذه المركزية وفق فن الإبداع أو من خلال المفهوم الذي يضم و يحتوي

---

[1]- حيدر ناظم محمد،إشكالية الفلسفة ،مرجع سابق ، ص،156.

[2] _جيل دولوز،كليربارنيه ، حوارات في الفلسفة و الاداب و التحليل النفسي و السياسي ، تر،عبد الحي أرزقان ، أحمد العلمي ،(د ط ؛ دارإفريقيا الشرق،1999) ،ص ص، 25 -26 .

[3] - جيل دولوز فليكس غتاري ، ماهي الفلسفة ، ترجمة و مراجعة و تقديم ، مطاوع صفدي (ط1؛ بيروت ن، مركز الإنماء القومي ،1997) ،ص،30 .

على كل شئ إلا أنه ليس كليا ، بحيث أصبحت مركزيـة المفهوم شديدة الجاذبية ، لا يمكننا الانفلات منها .

فما هي الفلسفة لذى دولوز ؟ و كيف تساهم الفلسفة في ابداع المفاهيم ؟

2 – ماهية الفلسفة عند دولوز :

يعرف دولوز الفلسفة في قوله : ‹‹هي الحقل العرفي القائم على إبداع المفاهيم[1] ›› فالفلسفة من خلال تعريف دولوز، يبقى موضوعها الأساسي هو إبداع مفاهيم دائمة الجدة و على اعتبار أن المفهوم يقتضي الإبداع هو الأمر الذي يجعله يحيل إلى الفيلسوف كما لو كان يمتلكه بالقوة أو أنه يمتلك القوة و القدرة على ذلك وعلى حد قول دولوز: ‹‹ ليست هناك سماء للمفاهيم[2]›› أي لا توجد مفاهيم جاهزة في انتظارنا بل ينبغي على الفيلسوف أن يسعى إلى ابتكارها و صنعها ، أو بالأحرى إبداعها. لقد حدد نيتشه مهمة الفلسفة حينما كتب : ‹‹ لا ينبغي أن يكتفي الفلاسفة بقبول المفاهيم التي تمنح لهم مقتصرين على صقلها و إعادة بريقها ، و إنما عليهم الشروع بصنعها و إبداعها و طرحها و إقناع الناس باللجوء إليها ، فحتى الأن نحن جميعا كل منا يولي الثقة لمفاهيمه فحسب كما لو تعلق الأمر بمهر خارق جاء من عالم خارق بدوره[3] ›› لأن الثقة وحدها لا تكفي فلا بد من الحيطة خاصة مع المفاهيم التي لم يبتكر الفيلسوف نفسه فأفلاطون مثلا كان يقول بضرورة التأمل في المثل ، و لكن كان عليه أو لا أن يبدع مفهوم المثال . فلا قيمة للفيلسوف إذا لم يبدع مفاهيمه .

---

[1] ـ جيل دولوز فليكس غتاري ، ماهي الفلسفة ،مصدر سابق ، ص،30 .
[2] ـ المصدر نفسه ، ص،33 .
[3] ـ المصدر نفسه ،ص،ص،30 - 31 .

(لنر الآن على الأقل ما لا يمكن أن تكونه الفلسفة : ‹‹ ليست تأملا و لا تفكيرا و لا تواصلا حتى و إن كان لها أن تعتقد تـارة أنها هذا و تارة أنها ذلك ، و نظرا لما لكل ميدان من القدرة على توليد أوهامه الذاتية و التستر وراء ضباب يرسله خصيصا لذلك)[1] .

من خلال النص السابق ، يتضح لنا أن دولوز يريد أن يوضح لنا الدافع وراء تبنيه هذا التعريف للفلسفة إذ لا مكان للحديث عن الفلسفة في تحديداتها التقليدية الثلاث (تأمل ، تفكير ، تواصل) بإستثناء كونها فعل إبداع في إطار المفاهيم و ربما من خلال حصر وظيفتها في عملية الإبداع ، يضمن لها وظيفة دون أن يمنحها أي تفوق و لا أي إمتياز ما دامت هناك طرق أخرى في التفكير و الإبداع ، بحيث لا تضطر إلى المرور عبر المفاهيم كما هو الشأن في التفكير العلمي[2] .

فالفلسفة ليست قراءة تاريخية ، بل هي قراءة إشكالية تقيم الأثر بمقدار ما أبدع من مفاهيم و بمقدار ما بلور من مشكلات ، و تتخلى عن تصنيف الفلاسفة في مدارس أو في تيارات فكرية أو باراديغمات محددة ، و عليه فهي تجاوز لكل الأنماط التقليدية في التفكير سواء كانت ملفات الهوية أو الذات أو الوضعية .....الخ .

ويرى دولوز أن الفلسفة ليست تأملا ، بل هي مجرد إنعكاس لعملية إبداع ذاتي ، و ليست تفكير كون أي اختصاص ليس في حاجة إلى الفلسفة لغرض القيام بعملية التفكير فالرياضي و الفنان و غيرهم لا يحتاجون إلى معونة الفلسفة ، و كذا رفض الفلسفة بإعتبارها تواصل

---

[1] ـ. جيل دولوز فليكس غتاري ، ماهي الفلسفة ،مصدر سابق ، ص،31 .

[2] ـ المصدر نفسه ،ص، 33

*ـ هنا يلمح الى نقد نظرية التواصل عند هاجرماس ،نقلا عن المصدر السابق ،ص،31

**ـ المقصود ان التواصل لا يعمل إلا في ميدان الأراء ، فهو بذلك يهدف الى قلة، الإجماع مابينهما ، و بالتالي فالتواصل لا ينتج مفاهيم و ذلك رداً على هابرماس .3636

على حد قول دولوز : « و لا تجد الفلسفة أي ملجأ نهائي في التواصل »* الذي لا يعمل بالقوة إلا في مجال الآراء ، و ذلك من أجل خلق إجماع و ليس من أجل مفهوم »**.

فالفلسفة لا تأمل لا تفكر لا تواصل ، حتى و إن كان عليها إبداع المفاهيم لهذه الأفعال و الإنفعالات ليس التأمل و التفكر و التواصل ميادين معرفية و إنماهي آلات لتشكيل كليات داخل مجمل الميادين .

إن كليات التأمل ثم كليات التفكير هما بمثابة الوهمين اللذان عبرتهما الفلسفة سابقا عندما كانت تحلم بالسيطرة على المجالات المعرفية الأخرى المثالية الموضوعية شيلنج و المثالية الذاتية فيختة فلا يزيد الفلسفة شرفا عندما تقدم نفسها كأثينا جديدة ، و لا حين ترتد إلى كليات التواصل التي تمدنا بقواعد تخييلية للتحكم في الأسواق و وسائل الإعلام (مثالية بين ذاتية) ، ‹‹ فكل إبداع هو فريد ، و يشكّل المفهوم باعتباره ابداعا فلسفيا محضا،فرادة دائما فالمبدأ الأول للفلسفة هو كون الكليات لا تفسرأي شئ ، بل ينبغي أن تكون موضع تفسيرا[1] ›› .

يبدو لنا أن دولوز من خلال المشهد الفلسفي المعاصر أنه اتخذ موقفا نقديا من فلسفة الحداثة من جهة و هو إستمرار لمشروع النقد النيتشوي ، باختلاف مفاصله من جهة أخرى فهو يمتلك خصوصية و ندرة متميزة ، و لعله أيضا أمام نوعا جديدا من الميتافيزيقا على صعيد إبداع المفهوم بمختلف مستوياته أو تشييد مسطح المحايثة الذي يمثل إطارا و حاملا

*ـ هنا يلمح الى نقد نظرية التواصل عند هابرماس ،نقلا عن جيل دولوز، ماهي الفلسفة ، مصدر سابق ،ص،31 .
**ـ المقصود ان التواصل لا يعمل إلا في ميدان الأراء ، فهو بذلك يهدف الى قلة، الإجماع مابينهما ، و بالتالي فالتواصل لا ينتج مفاهيم و ذلك رداً على هابرماس ، نقلا عن المصدر السابق ،ص،31.
[1] ـ جيل دولوز فليكس غتاري ، ماهي الفلسفة ،مصدر سابق ، ص،ص، 31-32 .

للمفاهيم التي تدخل في علاقة غير خاضعة لفهم واقعي مقبول (تحليل المنظومة النقدية النيتشوية).

فإبداع المفهوم هو في الأساس رفض للتشدد الذي ظهر في فلسفة الحداثة عند إرتباطها بالكليات التي تحجب الحقيقة، وقد تؤدي إلى موت الفلسفة و بالتالي، شل الفكر عن التقدم والتحرر أكثر، وفق نماذج فردية و فريدة تكون مهمتها الأصيلةهي إبداع المفاهيم بإستمرار.

3 – الحاجة إلى إبداع المفاهيم عند دولوز :

من الطبيعي أن يعرض علينا السؤال نفسه من أين تأتي الحاجة إلى ابداع مفاهيم جديدة ؟ و هل هناك تقدم في الفلسفة ؟

في حوار مع جيل دولوز أجراه معه كل من ريموند بلور و فرانسوا اوالد (RAYMOND François Ould ET BELLOUR) * حول حاجة الفلسفة إلى المفاهيم يقول جيل دولوز: ‹‹ إن خلق المفاهيم يعني بناء منطقة من المخطط ، إضافة منطقة للمناطق السابقة ، إكتشاف منطقة جديدة ، سد نقص ، إن المفهوم تركيب و تدعيم بالخطوط و المنحنيات . و إذا كان على المفاهيم أن تتجدد بإستمرار فذلك راجع إلى أن مخطط المحايثة يبنى منطقة منطقة و له بناؤه المحلي التدريجي ، و لذلك تشتغل المفاهيم عبر دفقات ، ينبغي لكل سطح في ألف سطح أن دفقا معينا ، لكن ذلك لا يمنعها من أن تكون خاضعة للتناول الجديد و المنهجة ، على عكس من ذلك هناك إعادة تعد قوة للمفهوم و هي ترابط منطقة

*ـ قد نشر الحوار ضمن عدد خصصته له المجلة الفرنسية (ماغزين ليبرتي) العدد ،257 سبتمبر1988

مع منطقة أخرى و هذا الترابط عملية أساسية دائمة، كأن العالم قطع مركبة ، أن انطباعك المزدوج حول مخطط واحد للمحاثية مع أن المفاهيم محلية دائما، صحيح إذن[1] ››.

فدولوز يحاول أن ينخرط في كل فلسفة فيتحول إلى أحد عناصرها (من خلال القراءة) ليكشف عبر إعادة إنتاج الأفكار حركتها ، و حركتها الداخلية و يجعلها راهنة و يمكننا نحن من الوقوف على تولدها الذاتي. فتكون فلسفة أشبه بالمسارات الفكرية أو أقرب إلى الدفق منها إلى الكتابة الستاتيكية إن ما يقوم به هو ولوج الزمان الذي تكتب فيه الفلسفات فيقف على تكوينها الداخلي و يعي إنتاج حركاتها ويربط بين عناصرها المؤلفة لها و يقوم بعمليات فصل و وصل كما يبني ترتيبا جديدا لها فيكون – بوصفه قارئا– من يطرح السؤال و من ينتظر الاجابة، فتجدها في الصفحات أو الأسطر اللاحقة ، و لأنه كمؤول إستطاع إدماجنا ضمن زمانيته و قادر على جعلنا محمولين بقضايا تلك الفلسفة و إشكالياتها فتتحول أسئلته إلى أسئلتنا جميعا إلى أسئلة الإنسان عامة دون أن تحذف عنا فرديتنا و دون تضيع الأفكار تفردها و تميزها[2] .

و قد تكون الحاجة إلى إبداع المفاهيم نابعة أيضا من كون الفلسفة حسب دولوز ليست تاريخا من خلاله ننظر إلى صورة الفلسفة عبر الأزمنة الماضية أو الغابرة ، و بقدر ما هي صيرورة و تحول ناتجة عن حضور الذات الدائم في الأحداث المتنوعة هذه الأحداث تشكل بدون شك أحد وجوه الراهن أو المعاش لتبقى الفلسفة دائما كتيار متدفق متجدد . و لكن ما يثير انتباهنا في عملية إبداع المفاهيم المستمرة التي تدفعنا إلى التساؤل هل هذه الوظيفة

1- جيل دولوز و أخرون ، مسارات فلسفية، تر،محمد ميلاد ، (ط1؛ سوريا، دار الحوارللنشرو التوزيع، 2004)،ص،56 .
2 - خميس بوعلي ، جيل دولوز صورة الفيلسوف ،(ط1 ؛ الجزائر ، منشورات الإختلاف، 2014)،ص،ص،117-118 .

للفلسفة تتوقف على عملية النقد؟ أم أن فلاسفة ما بعد الحداثة بنقدهم لم يستطيعوا خرق أو تجاوز من سبقوهم ؟ نعتقد أن عملية النقد هي مهمة أصلية من مهام الفسلفة و أداة من أدوات الفعل الفلسفي قد تعرف نوعا من الفتور يحتاج منا من حين لأخر الرجوع إلى تاريخ الفلسفة كونه نهر متواصل الجريان لا يمكن أن يتوقف إلا بفناء الانسان لذا يبدو لنا أن الفلسفة لا يجب أن تقتصر على عملية الإبداع للمفاهيم دون جعل النقد مهمة أخرى تتزامن مع هذه الاخيرة لتصبح الفلسفة عملية إبداع و نقد المفاهيم في الحقل المعرفي ، و بهذا يكون التعريف أكثر إكتمالا ما دام دولوز قد تعرض بالنقد لمن سبقوه و حاول من خلال قراءته إبداع مفاهيمه الخاصة به ، ليفتح المجال إلى الاختلاف لكونه الأصل في كل حركة فكرية من خلالها نتجاوز الهوية إلى الاخر .

III –المبحث الثالث: صورة الفيلسوف عند دولوز : ستناول في هذا المبحث صورة الفيلسوف عند دولوز من خلال نقده للمسلمات التي تمثل صور للفكر و كذا من خلال إستعماله منطق الكثرة ، ثم نعطي صورة الفيلسوف كصديق الحكمة .

1- نقد المسلمات : الفلسفة ستجد فرقها او بدايتها الحقيقة ليس في وفاقها مع الصورة قبل فلسفية، وإنما في صراع شديد ضد هذه الصورة، فالفلسفة تجد معاودتها الأصيلة في فكر دون صورة حتى وإن كان ثمن ذلك هو أقصى ضروب التهديم و أقصى العطالات الأخلاقية وكان ثمنه عناد فلسفة لن يكون لها من حليف غير المفارقة[1].

[1] - جيل دولوز، الفرق و المعاودة ، تر، عبد العزيز العيادي، (ط1 ؛ لندن طوى للثقافة و النشر و الإعلام،2015) ،ص ،256 .

« ... لا تصلح الفلسفة للدولة و لا للكنيسة ، اللتين لهما هموم أخرى، لا تخدم أي قوة سائدة . تصلح الفلسفة لإثارة الحزن ، فالفلسفة التي لا تحزن أحد ، و لا تعاكس أحد ليست بفلسفة ، إنها تصلح للإضرار بالحماقة ، تجعل من الحماقة شيئا مخجلا ، ليس لها من إستخدام غير هذا : أن تفضح سفالة الفكر بكل أشكالها[1] » .

من خلال المقولتين السابقتين يتضح لنا أن دولوز ، يحاول أن يتجاوز الدوغماتية و التعصب الذي صاحب الفلسفة طيلة قرون إذا أعتبرنا أن سفالة الفكر، قد إرتبطت بالفلسفة عبر تاريخها الطويل بمجموعة من الصور الوثوقية التي قد تحجب الحقيقة و تقوض عملية الإبداع ، مما يجعل طريق الفلسفة غير آمن و لا مستقل و لا متميز و لكي تعيد الفلسفة طريقها نحو الإبداع الخالص و تظهر بشكل أفضل .

« يجب أن تكون فلسفة بلا مفترضات مسبقة أو خالية من أي مسلمات سابقة أو صور قبل – فلسفية » صورة الفكر هذه بإمكاننا تسميتها صورة و دوغماتية أو أرثودوكسية ، صورة أخلاقية ، من المحقق أن لها تنويعات ، وهكذا لا يجتمع العقلانيون أو الأمبيريقيون أبدا على نفس الطريقة التي يفترضون أنها مبنية وفقها[2] » .

لذلك بذلا من الإعتماد على الصور الأخلاقية للفكر ، فإن الفلسفة مطالبة بالإنطلاق من عملية نقد جذري للمسلمات التي تتضمنها لتكون بدايتها الحقيقية ليس في التفاهم مع هذه الصورة قبل – فلسفية ، و لكن في الصراع معها و مقاومتها ، و يقصد دولوز تلك الصور قبل– الفلسفية تلك الصورة الوثوقية أو ما تبنته الفلسفة ، عبر تاريخها ، من صور معينة

[1] ـ جيل دولوز ، نيتشه و الفلسفة ، تر، أسامة الحاج (ط3؛بيروت ،المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، 1997)،ص،135 .
[2] ـ جيل دولوز، الفرق و المعاودة ،مصدر سابق،ص،255 .

للفكر ، دون أساس أو دون إثبات ، فالفكر هنا دوغماتي لأنه لم يقم بتفحص هذه الصورة ، و كان يطمح إلى اليقين من خلالها و كان أخلاقي كونه إستند إلى الخير في تبرير هذه الصورة إذن صورة الفكر هي كل تصور مسبق يتخذه الفكر عن نفسه بإعتباره يمثل الحقيقة ، و هذا ما يرفضه دولوز رفضا قاطعا صريحا و قد درج لنا تلك الصور و شخصها في ثمان مسلمات يرى توجيه النقد لها للوصول إلى الفكر دون أي تصور مسبق يتم التعامل معه على أساس أنه يمثل حقيقة بديهية غير قابلة للنقد أو التفاوض ، و تتمثل هذه المسلمات فيما يلي : 1- مسلمة الحس السليم أو الحس المشترك و 2 – مسلمة المبدأ 3- مسلمة التعرف أو التحقق 4 مسلمة الصور 5- مسلمة السلب أو الخطأ 6- مسلمة القضية أو الوظيفة المنطقية 7 – مسلمة النمطية أو الحلول 8 – مسلمة النهاية أو النتيجة (المعرفة و التعلم) و سأكتفي بتحليل و شرح ثلاثة منها كنماذج تعكس جهد دولوز في تجاوزها و عدم الانطلاق منها في عملية التفكير ، حتى تتم القطيعة الحقيقية بين منطلقات جاهزة سابقة عن الفكر و التفكير الفلسفي السليم .

‹‹ تدخل هكذا الملكات الثلاث الفعالة (المخيلة ، الإدراك ، العقل) في علاقة ما ، مرتبطة بالمصلحة التفكيرية ، إن الإدراك هو الذي يشرع و يحكم ، لكن في ظل الإدراك تؤلف المخيلة و تضع تخطيطات ، و يستدل العقل و يرمز ، بحيث للمعرفة حد أقصى من الوحدة المنهجية و الواقع أن كل إتفاق للملكات في بينهما يحدد ما يمكن تسميته حسا مشتركا[1] ›› .

[1] جيل دولوز ، فلسفة كانط النقدية ، تعريب أسامة الحاج (ط1؛ بيروت ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ،1997)،ص،36 .

من خلال المقولــة السابقة يبدو لي أن الحس المشترك ينشأ أو يتجلى في نوع من التوافق للملكات فقطعة الثلج مثلا هي نفسها التي أراها و ألمسها و أتخيلها ، و أخيرا تبقى هي نفسها التي أعتقدت أنها كانت عند البدء فالمعرفة تكون تابعة لهذا الحس المشترك الذي يعمل على إيصالها و جعلها تطمح للشمولية و عليه نرجع إلى :

1- مسلمة الحس السليم و الحس المشترك :

ينتقد دولوز دريكات من خلال تعريفه للحس السليم بإعتباره قدرةعلى التفكيرو أفضل قسمة في العالم ، و محاولته تأسيس صورة وثوقية للفكر من خلال قوله بأن الفلسفة تستند إلى نمط عادل من القسمة بين البشر .

فمعنى الكوجيتو الديكارتي هو مبدأ ذاتي لتعاون الملكات ، أي حس مشترك يكون بمثابة ملكة التوافق يعبر عن وحدة كل الملكات في الذات فالحس السليم يقوم على معيار التقاسم في حين يقوم الحس المشترك على أساس معيار التطابق و الهوية من وجهة نظر الأنا المحضة ، الحس السليم و الحس المشترك يحيل كل واحد منهما إلى الأخر و يعكس كل واحد منهما الأخر ، إذا فالحس السليم و الحس المشترك أضفيا على الفلسفة صورا تطابقية أحادية البعد تتقوم وفق مبدأ يرتهن الثنائيات و يؤسس وفقها ، و هنا يرى دولوز أنه لا سبيل لتجاوز تلك الثنائيات و خرق تلك الصورة الدوغماتية إلا عبر التركيز على المحايث و المختلف الذي من شأنه الإحالة إلى الفراغ الذي يقبع خارج الوثوقية الجامدة[1] .

2- مسلمة المبدأ : (طبيعة الفكر الطيبة أو المستقيمة و إرادة المفكر الطيبة :

[1] - حيدر ناظم محمد ، إشكالية الفلسفة ، مرجع سابق، ص،ص،180-181 .

‹‹ لن يتخلى كانط أبدا ، بهذا المعنى ، عن المبدأ الذاتي لحس مشترك أي فكرة طبيعة خيرة للملكات طبيعة سليمة ومستقيمة تسمح لها بالتناغم بعضها مع بعض وتكوين نسب منسجمة[1] فهذه المسلمة تؤكد على وجود طبيعة مستقيمة للفكر ، هذا الأخير الذي يعد ممارسة طبيعية لملكة ما ، و ربما دولوز يرى أن المفترض المسبق الضمني للفلسفة في الحس المشترك بإعتباره التفكير الطبيعي الكلي ، و الذي إنطلاقا منه يمكن أن تتخذ الفلسفة منطلقاتها ، أي المبدأ الذي يستند إليه الفيلسوف و يجعل منه نقطة إنطلاق في بناء فلسفته و تصوراته و هنا ينتقد دولوز صورة من صور الفلسفة التي تتمثل في نموذج يبدو لدى الفلاسفة واضحا و غير قابل للنقد بل و لا يحتاج إلى إثبات

‹‹ ما هو أول الفكر هو التحطيم و العنف ، هو العدو ، و لا شئ يفترض الفلسفة بل كل شئ ينطلق من معاداة الفلسفة ، فليس لنا أن نعول على الفكر لإرساء الضرورة النسبية لما يفكر به و إنما أن نعوّل على العكس من ذلك على عرضية إلتقاء ، لما يجبر على التفكير من أجل رفع و إقامة الضرورة المطلقة لفعل تفكير و لشغف بالتفكير إن شروط نقد حقيقي و إبداع هي : ذاتها تحطيم صورة فكر يفترض ذاته ، و تكوّن فعل في الفكر ذاته[2] ››

إن هذه المسلمة تتيح للفكر أن يتطابق مع الحقيقي ، تحدث المطابقة طبيعة الفكر المستقيمة و إرادة الفكر الطيبة ، وفق منظور صوري يدعى إمتلاك الحقيقة في الوقت الذي يعتقد فيه دولوز أن لا أهمية و لا فائدة من أن تبدأ الفلسفة بالموضوع أو الذات ، مادام الفكر خاضع وفق ما تقدم لهذه الصورة الوثوقية التي تطلق أحكاما مسبقة على الكل .

---

[1] ـ جيل دولوز ، فلسفة كانط النقدية ، مصدر سابق ، ص، 37 .
[2] ـ جيل دولوز، الفرق و المعاودة ، مصدر سابق ، ص،ص ،268-269 .

3- **مسلمة التعرف أو التحقق :** ثمة نموذج فعلا هو نموذج التعرف يتحدد بالمباشرة المنسجمة لكل الملكات لموضوع وقع افتراض أنه هوهو: أنه نفس الموضوع الذي يمكن أن يرى و يلمس و يتذكر و يتخيل و يتصور... ›› أو كما يقول ديكارت عن قطعة الشمع :‹‹ إنها هي ذاتها التي أراها و ألمسها و أتخيلها و أخيرا هي ذاتها التي أعتقدت دائما أنها كانت في البداية[1] ›› .

فالتفكير بحسب ما تقدم يمارس وفق و في صور الفكر الجاهزة و البديهية و غير القابلة للجدال فيها كونها مسلمة من مسلماته الدوغماتية ،و لكن إذا كان التفكير حسب ما أوردناه يتم وفق صورة جاهزة فأين نجد التعريف ؟ الذي يستشكل عليه دولوز ، يستطرد هذا الأخير ليمارس نوعا من التحليل و يعقد مقاربة تقع في صميم حياتنا اليومية ...

من خلاله قوله ‹‹ هذه طاولة ، هذه تفاحة ، هذه قطعة الشمع ، نهارك سعيد يا فلان ، هل يمكن لأفعال التعرف هذه و غيرها الكثير مما يملأ حياتنا أن تحدد مصير الفكر ؟ هل يمكن القول أننا نفكر عندما نتعرف ؟ ››

إن دولوز يعترض على مسلمات الفكر كونها مثلت نوعا من القوانين القائمة على أسس إفتراضية و ليس واقعية ، لذا فإن محاولته لتعريف التفكير من كونها عملية معقدة و متشابكة و ذات طبيعة عشوائية لا يمكن حصرها في مجرد إعتبارها نتاج عملية تفاعل أو صراع بين الذات و الموضوع ، هي محاولة إجرائية يسعى من خلالها إلى تجاوز مسلمة التعريف كصورة وثوقية للفكر ينبغي تشخيصها و نقدها ،

[1] ـ جيل دولوز، الفرق و المعاودة ، مصدر سابق ، ص ،258 .

لأنها جعلت الفلسفة تعمم بعض الوقائع عندما تؤسس لفرضياتها أي أن بعض الوقائع تمتلك بعدا معمما بالاستناد إلى مسلمات أعتاد الفكر التعامل معها كنوع من البديهيات التي لا يمكن التشكيك فيها كما ورد في المسلمات السابقة .

كما يعتبر دولوز أن مسلمة التعريف تحول دون إبداع قيم جديدة ، بل تعمل على تثبيت القيم السائدة ، هنا يستشهد دولوز نيتشه و يستحضره في نقد القيم الراسخة و المسلم بها كحقائق ، فالتعريف يجد غايته العملية في القيم الراسخة بحسب دولوز فكل صور الفكر بإعتبارها نوع من التفكير تشهد وفق هذا النموذج على تواطؤ مغلق ، فالحقيقة حسب نيتشه : مخلوق صافي النية و محب لرفاهيته يعطي بلا توقف كل السلطات القائمة بأنها لن تسبب لأي أحد أقل مضايقة لأنها ليست بعد كل شئ ، إلا العلم المحض[1].

2 – منطق الكثرة:

يعتبر دولوز من الفلاسفة الفرنسيين القلائل وحتى الألمان المعاصرين الذين اهتموا بالمنطق، وخاصة بالمنطق الذي يخرج عن الأرسطية وعن الهيجيلية وكذلك عن المدرسة التحليلية المتمثلة في كل من فـريجة (Frege1848- 1925) وراسل(Russe1872–1970) فحتى أعمال المفكر بول ريكور(Paul Ricoeur1913–2005) كانت هاجسا لسانيا أكثر مما كانت هاجسا منطقيا[2].

ومن خلال تدبرنا لمنزلة كتاب "منطق المعنى" من مسار دولوز ومن تبلور تصوره للفلسفة لأمكن أن نلاحظ أنه بعد كتاب "الاختلاف والمعاودة" ، أي بعد شروع هذا المفكر في إرساء

[1]- حيدر ناظم محمد ، إشكالية الفلسفة ، مرجع سابق، ص ص،182-183.
[2] - خميس بوعلي ، جيل دولوز صورة الفيلسوف مرجع سابق، ص ص،217-218.

الأسس النظرية لنظرية الكثرة، أقام منعرجا نحا فيه نحو الاهتمام بمسائل خاصة به، بعد كتابات متنوعة حول الفلاسفة أصطلح عليها النقاد بالكتابات المونو غرافية* وفعلا قد تفطن العديد من النقاد إلى أهمية هذه النقلة في فكر دلوز. إذ أشارميشال فوكو إلى أننا إزاء كتابين كبيرين(منطق المعنى، والاختلاف والمعاودة). بين الكتب الكبيرة للفلاسفة وقد قارنهما نقاد آخرون بكتابين مثلا مرحلة حاسمة في حياة الفيلسوف الألماني هيجل، وهما:" دروس في تاريخ الفلسفة، وفينومينولوجيا الروح". فكما أقام هيجل قراءة لتاريخ الأفكار الفلسفية وأحدث توزيع للفلاسفة ولأفكارهم، أقام دولوز قراءة مضادة لقراءة هيجل للفلسفة ذات النزعة الغائية. ومضادة للتصور الأخلاقي للعالم، إننا نشهد مع دولوز قراءه اختلافية تقوم على تصور ما للكثرة و للتنوع والذي يهمنا في كتاب منطق المعنى في المقام الأول هو أن نقف على أهمية هذا الكتاب وعلى مدى مساهمته في إنتاج الشروط الضرورية لنظرية الكثرة.

إذ لطالما أعتبر هذا الكتاب الذي تخلى فيه دلوز عن أن يكون صدى لغيره من الفلاسفة فهو كتاب دولوزي حتى على مستوى الشكل، كتاب يتكون من مجموعة من السلاسل والمفارقات كما يكتسب الكتاب قيمته من كونه أيضا كتاب منطق أو يهتم بالمنطق أو يعرض تصور لمنطق ما[1] .

لعل دلوز أراد أن يعبر عن العلاقات بين الثنائيات أو الأزواج التي تشتغل معا مثل : الكائن الإفتراضي و الكائن الراهن ، بين الممكن و الواقعي يعبرعن ذلك من خلال التصور الجدلي

*- بحث تفصيلي لموضوع واحد ضيق النطاق يدرس من كافة جوانبه دون إهمال أي عنصر من عناصره.

[1] - خميس بوعلي ، جيل دولوز صورة الفيلسوف مرجع سابق، ص،217 .

على أعتبار تلك الأزواج هي مجموعة من السلاسل المتنوعة (أربع و ثلاثون سلسلة) و التي تعمل على ضمان الاختلاف وعلى إنتاج التنوع فالسلسلة(Lasèrie) تتمييز بتفردها و كذا بتواجدها مع سلسلة أخرى لكن مع وجود تفاوت بين السلسلتين و تمثل واحدة دال و الأخرى مدلولا *

والمدلول هو التصور أو المفهوم، أما الدال فهو الحدث منظورا إليه بوصفه صفة منطقية لحالات الأشياء (أو لأحداها) إن الاعتماد على منهج السلاسل يعني أن ما يوجد هو التمايزوالإختلاف.سواء بين الأحداث أو القضايا أو التعابير أو غيرها، وأن ما يبدو من تجانس بينها ليس سوى مظهر خارجي.

وإذ تخضع كل الأشياء إلى هذا اللاتجانس وإلى هذا التمايز. ومن الأمثلة على ذلك السلاسل للغوية أو البيولوجية أو الاقتصادية أما المفارقة (Le paradoxe) كما يجتهد دولوز لإيضاحها وتحديد منزلتها في تصوره للفلسفة هو نوعان من المفارقات :

الأولى مفارقات الدلالة وهي مفارقات المجموعة غير العادية حيث تتكون من عناصر تنتمي إلى مجموعات صغرى ومختلفة في نفس الوقت وتمثل في حد ذاتها عنصرا.

والثانية هي مفارقات المعنى والتي تنقسم إلى أجزاء وأجزاء إلى ما لا نهاية له.فهي عبارة عن قسمة في ارتحال دائم تنفتح على فضاء لا متناه، تمثل وجهتين للزمان ماضي / مستقبل لا

*- إرادة المقدرة المجلد الثاني ، الكتاب الرابع الفقرة 548 ، حيث يوضح سقوط عالم الميتافزيقا بمعاييره ، و تراتيبه و أنظمته المعرفية و الاخلاقية و حيث يبين الطبيعة الحليفة للحقيقة بإعتبارها تنفتح على سديم من الاسئلة تتطلب منا إرادة إن كنا نرجو إستهدافها ، نقلا عن : خميس بوعلي ، جيل دولوز صورة الفيلسوف مرجع سابق، ص،266.

وجود للحاضر. ارتحال دائم وانزياح مستمر لا غير. استنادا إلى أن حركة الترحال نحو الماضي و نحو المستقبل، رفض لأي انتماء للحاضر لأية هوية يمكن أن يقيم فيها الفكر. ويمكن أن نستخلص أن المفارقة تخدم فكرة الإختلاف بكل مقتضياته وبكل مكوناته الصغرى: الحدث، الارتحال، الديمومة، المحايثة لذلك في هذا المفهوم الأساسي المنطقي لفلسفته[1] .

ومن العبث إعادة تشكيل الماضي انطلاقا من أحد الحواضر التي تثبته، سواء ذلك الذي كانه أو ذاك الذي بالنسبة إليه هو الأن ماض لا يمكننا أن نعتقد فعلا أن الماضي يتقوم بعد إن كان حاضرا ولا لأن حاضرا جديدا يظهر لو كان الماضي أنتظر حاضرا جديدا ليتقوم كماض فإن الحاضر القديم ما كان أبدا ليمضي والجديد أبدا ليحدث. أبدا لن يمضي حاضرلو لم يكن ماضيا (في نفس الوقت) الذي هوحاضرأبدا لن يتقوم ماض لو لم يكن قد تقوم بدءا (في نفس الوقت) الذي هو فيه حاضر. تلك هي المفارقة الأولى. مفارقة تعارض الماضي و الحاضر الذي كانه[2].

3 – الفيلسوف صديق الحكمة :

ليست الشخصية المفهومية ممثلة للفيلسوف بل على العكس تماما: فالفيلسوف هو مجرد غلاف يضم شخصيته المفهومية الرئسية، وكل الآخرين الذين هم بمثابة الوسطاء، والموضوعات الحقيقية لفلسفته ، أما الشخصيات المفهومية فهي نوع من المعارضات

[1] ـ خميس بوعلي ، جيل دولوز صورة الفيلسوف ، مرجع سابق، ص ص،219-221 .
[2] ـ جيل دولوز، الفرق و المعاودة ، مصدر سابق ، ص، 171 .

للفيلسوف وأما اسم الفيلسوف فهو مجرد (hétéronymes) اسم مستعار لهذه الشخصيات[1] لأن الفيلسوف الذي يسكن النص الدولوزي يعمل وفق إستراتيجيات ضمنية ترفض التصريحات الساخرة، لأنها خجولة تحب الإشارات الخفيفة العابرة وترفض الأقوال الإدعائية و الوقحة، وفيلسوف التلميح الذي يدافع عنه دولوز يظل بعيدا عن كل التشكيلات والفضاءات النصية التي حاول تاريخ الفلسفة أن يؤسس انطلاقا منها شخصية الفيلسوف، فالفلسفة لا تصنع مبدعيها. فهي تحلم بالضوء وتخشاه في آن واحد، والفيلسوف يسعى إلى اختراق الكهف دون أن يكون قادرا على احتواء شعاع الحقيقة الساطع. ومع ذلك فإن صورة الفيلسوف في شكلها الشعبي والعلمي معا، يبدوا أنه قد تم ترسيخها من قبل الأفلاطونية. إنه كائن الصعود ذلك الذي يخرج من الكهف نقيا ويتطهر كلما زاد في الارتقاء وفي نطاق هذه النفسية التصاعدية فإن الأخلاق والفلسفة ومثال الزهد والفكرة المتعلقة بعالم الفكر تمكنت من إقامة روابط وطيدة[2]

يبدو أن الفيلسوف عند دولوز لا يمكن له أبدا أن يرتبط بشكل معين من أشكال النظام أو النسقية التي تجعل منه شديد الارتباط بالتزامات فكرية أو منهجية تجعله يتكرر في النص الفلسفي بنفس الصورة النمطية، وهذا ما يجعل الفيلسوف عرضة للموت أو فاقد لصورة الإنسان الحر. وعليه فاستعادة الفلسفة لحركياتها لا يكون ممكنا إلا إذا تم استعادة عمل الفلسفة النقدي بصورة فاعلة في كل عصر. وعليه من خلال التشظي الذي صاحب الفكر المعاصر الذي يخوض في كل لاتجاهات ويطرق كل المواضيع بالقدر الذي يجعله معاكسا

[1] ـ جيل دولوز فليكس غتاري ، ماهي الفلسفة ،مصدر سابق ، ص ص، 79-80 .
[2] ـ جيل دولوز نقلا عن : أحمد عبد الحليم عطية ، جيل دولوز سياسة الرغبة (ط1؛ بيروت ، دار الفارابي ،2011) ص،100.

لزمنه دائما، حتى يستطيع إبداع مفاهيم لاهي أبدية ولاهي تاريخية، ولكنها مغايرة لزمنه وغير حالية حتى لا تكون هناك فلسفة أبدية قد تجعل من الفيلسوف يغادر الحياة تماما. ولعل النظرة الافلاطونية التي تحدثنا عنها سابقا تريد أن تجعل الفيلسوف كائنا بلا ثقل يحلق في سماء المثل في حركة تهدف إلى الأعلى المجرد من المحسوس النقي من كل شائبة حتى يمارس الفيلسوف صفاءه الفكري وابتعاده عن كل ما هو مادي أو بالأحرى ما هو واقعي هذا ما جعل دولوز يصل إلى الحكم على افلاطون والأفلاطونية بأنها مرض الفلسفة، أو أن المثالية هي مرض الفلسفة وعلتها الأولى. ولعل هذا الحكم يدخل في إطار هدف عام هو إدخال الاضطراب عليها كفلسفة وكأسلوب في التفكير وإرباكها من أجل قلبها. غير أن المسالة قد تبدو أعقد من ذلك فالأفلاطونية هي في نظره علامة اضطراب نفسي، علامة هروب بل إن أفلاطون يحدد الفكرة على أنها هروب أو إتقاء للمحسوس. ولعل في موت سقراط بعد محاكمته ما جعل أفلاطون يتصور الفلسفة على هذا النحو[1].

صورة الفيلسوف بالنسبة لدولوز أقرب إلى السوريالية*.ترمز لذات يحاصرها التشظي ويلفها فضاء الاختلاف، ذات تنتمي إلى جيل لم يعد يحلم سوى بمحاولة الفهم بعد أن كان سلفه يطمح إلى اكتشاف الأسرار وتغيير الكون لأن الصورة الداخلية العتيقة تهشمت وأصبحت القدرة على النظر والتأمل مسيحة بسلسلة من العوائق التي يصعب تبديدها أو تجاوزها أو

---

[1] ـ خميس بوعلي ، جيل دولوز صورة الفيلسوف مرجع سابق ص، 230.

*ـ السريالية : مذهب أدبي يميل الى إهمال كل إهتمام بالمنطق ، نقلا عن دار المشرق ، المنجد الأبجدي ، (ط1؛ بيروت، الكتبة الكاتولكية ،1968)،ص، 548.

حتى اختزالها وفق النماذج الفلسفية التي سادت من قبل، إنها صورة يؤكد دولوز أنها أقرب إلى الشخصية المفهومية[1] .

التي لا علاقة لها أبدا مع أي شخصية تجريدية أو رمز أو استعارة، ذلك لأنها تحيا، وتلح وتبالغ، والفيلسوف هو الشخص المستعار لهذه الشخصيات المفهومية، وقدر الفيلسوف هذا أن يصير أحد هذه الشخصيات المفهومية أوجميعها بحيث تغدو هذه الشخصيات عينها مختلفة عما كانت عليه تاريخيا وميثولوجيا[2].

الأمر الذي يدفعنا إلى القول أن الفيلسوف المعاصر في نظر دولوز كان له شرف تأسيس أساليب جديدة في التفكير والتنظير والكتابة، وفق منظورات مفاهيمية وتفكيكية وحتى رمزية وإستعارية انطلاقا من

أفاق تعددية ينتقل فيها الفعل الفلسفي من الصورة التجريدية التأملية إلى صورة الإبداع والمقاومة للتحرر أكثر من الأساليب النظرية. ولكن رغم كل ما يبدله دولوز في التوسيع من صورة الفيلسوف في أعماله في أكثر من موضوع. تظل تلك الصورة ناقصة لتنجز فعل التعبير من دون أن تصل إلى الإفصاح أو الإقرار الصريح لان التعبير الضمني هو قدر الفيلسوف مثلما كان قدر دولوز أن يضل رحالة هائما بفكره متأرجح بين الإحجام والإقدام بين التجوال والإقامة بين الحضور الإبداعي والغياب التواصلي لتبقى صورة الفيلسوف جزء من ممكنات النص.

---

[1] ـ جيل دولوز فليكس غتاري ، ماهي الفلسفة ،مصدر سابق ، ص، 80 .
[2] ـ خميس بوعلي ، جيل دولوز صورة الفيلسوف، مرجع سابق، ص، 230.

« ... يصور ككحيم هو الذي ليس سوى صديق للحكمة، صديق بمعنى ملتبس، أي المناهض للحكمة ، ذلك الذي يضطر لوضع قناع الحكمة كي يبقى حياً. يجعلون منه صديقا للحقيقة هو الذي يخضع الحقيقي لأقسي إمتحان .... إذا لم تتم إستعادة عمل الفلسفة النقدي بصورة فاعلة في كل عصر تموت الفلسفة ،وتموت معها صورة الفيلسوف و صورة الإنسان الحر»[1] .

فالفيلسوف وجب عليه،أن يكون دائما معاكسا لزمانه ناقداً لعالمه الحالي يشكل مفاهيم لا تحمل صفة الابدية و لاصفة التاريخية ، و لكنها في الوقت ذاته مغايرة لكل ماهو حالي حتى تعطي حقائق أكثر دواماً من الحقائق الأبدية مادام ليس هناك فلسفة أبدية أو فلسفة تاريخية .

من خلال ماسبق ذكره نصل لطرح الإشكال التالي : إذا كانت الفلسفة بحسب دولوز هي إيداع للمفاهيم، فماهو مفهوم المفهوم عند دولوز؟.

[1] ـ جيل دولوز نتشه و الفلسفة ، مصدر سابق،ص ص، 136-137 .

يعتبر بناء المفهوم عملية منهجية عقلية ، نحاول من خلالها التعرف على منهج دولوز في بناء المفهوم ، هل هو إبتكار لمنهج جديد ام إجترار لمناهج سابقة؟ .

من خلال هذا الفصل سوف نتطرق الى ثلاثة مباحث أسياسية ، حيث سنعالج في المبحث الاول خصائص المفهوم عند دولوز ثم في المبحث الثاني مكونات بنائه ، ثم في المبحث الثالث نتطرق للعلاقة بين المفهوم و الابداع.

I المبحث الاول : خصائص المفهوم الدولوزي

« ليس المفهوم نمدجيا معياريا paradigmatique , بل هو تركيبي توليفي syntamatique ليس اسقاطيا , ولكنه توصيلي ، ليس تراتيبيا , و لكنه تجاوزي »[1]

من خلال هذا القول يمكن أن نستخلص ثلاثة خصائص هامة للمفهوم عند دولوز وهي:

1 . لاتناهي المفهوم :

ان كل مفهوم بطبيعته وفق هذه الخاصية يحيل الى مفاهيم اخرى ، سواء إحالة داخل تاريخ تشكله ، أو في إطار صيرورته المستمرة . إنه ينتج مفاهيم تخرج من ذات مركباته , التي يتكون منها مثل مفهوم الوجه مثلا، قد يتكون من عدة أجزاء مركبات منفردة ، هذا التفرد من المركبات من الممكن أن يمثل مفاهيم مستقلة داخل الاطار العام لمفهوم الوجه .

فالمفاهيم تسير نحو اللامتناهي ، و هكذا فان مسطح المحايثة يغدو ساحة واسعة أوالأرضية الملائمة لإبداع المفاهيم .

[1] ـ جيل دولوز فليكس غتاري ، ماهي الفلسفة ،مصدر سابق، ص،13 .

« فلا يجوز ان يحد التاريخ بالاهداف العليا ، التي تنطوي على الطوبائيات و تمفهمها الايديولوجيات عبثا »[1]

و هنا ينقلب المفهوم على الأراء الفلسفية السابقة التي تشكلت في هيئة مرجعيات و شعارات هي في الحقيقة أراء لا تخدم إلا بعض اشكال الأيدلوجية ، اما فلسفة المفهوم فهي لا تسمح باي مساومة مع الرأي في أنواعه المتعددة ، على اعتبار ان الفلسفة عند دولوز فعلا داخليا وأثرا ينتجه بنفسه ضمن صيرورة هادئة متحكمة في أحداثياتها الخاصة

I– 2 الصيرورة المتماسكة : يقول دولوز : « أن خاصية المفهوم هي جعل المركبات غير منفصلة بداخله : فهي متمايزة و غير متجانسة و مع ذلك فانها غير منفصلة ، ذلك هو وضع المركبات أو ما يحدد قوام ثبات المفهوم و قوامه الداخلي »[2]

من خلال هذه المقولة فان المفهوم يحافظ على خاصية إرتباط مكوناته الداخلية و يعمل على عدم انفصالها ، بالرغم مما تتصف به تلك المكونات من تمايز و لا تجانس ، وربما نرجع الى مثال الوجه كمثال يوضح هذه الخاصية ، مفهوم مكونات الوجه مترابطة في وحدة إطار عام يعطينا مفهوم الوجه . إلا أن مكوناته متمايزة و غير متداخلة مع بعضها البعض الاخر ، فثمة حركة داخلية في المفهوم صيرورة لا يمكن التقاطها أو رؤيتها، و هي تشكل التكثيف و القوام الداخلي المهم للمفهوم و هو ضرورة لتماسك مكوناته .

---

1 ـ جيل دولوز فليكس غتاري ، ماهي الفلسفة ،مصدر سابق ، ص، 17 .
2 ـ المصدر نفسه ، ص، 42 .

فالمفهوم يجب أن يكف على الاسقاط اكثر نحو الاعلى ، و ينحو نحو التوصيل و الايصال ، أي عندما تغدو أفقية الاشتباك و ليست عمودية التطلع , يمكنه ان يدخل إختلافية الخارطات المحايثة[1] .

3 ـ نقطة التركيز او التكثيف :

« قد يرى حادثة الصيرورة نفسها في التاريخ كما لو كان حقل تجاربها اللامتناهية ، لكن الصيرورة ليست هي التاريخ[2] »

فالمفهوم لا يجب النظر اليه وفق تخطيطات عقلانية نسقية ، أو اشتقاقات منطقية ، فهو منفرد بكونه خارج الأطر التقليدية في التصنيف ، انه علاقة يمكن قياسها من منطـــــقة إحداثيات غير محددة بمقياس ثابت و متعارف عليه سلفا ، و هنا نقف على خاصية تكمل الخاصيتين السابقتين في مستوى إرتكاز المفهوم و بؤرة تكثفه .

فالمفهوم يوصف بأنه نقطة تركيز أو نقطة التقاء ، و تركيز ، أو تراكم لمركباته الخاصة . فلا تتوقف النقطة المفهومية عن عبور مركباتها ، و عن الصعود و النزول فيها , فيغدو كل مركب بهذا المعنى خطا مكثفا ، لا ينبغي ضبطها باعتبارها عامة أو خاصة ، و إنما بإعتبارها مجرد تفرد خالص ،فلا وجود لثابت أومتغير داخل المفهوم ، و لن نميز أنواعاً متغيرة لجنس ثابت ، فليست العلاقات داخل المفهوم علاقات تعريفية ولا علاقات صدقية[3]*

---

[1] ـ جيل دولوز فليكس غتاري ، ماهي الفلسفة ،مصدر سابق ، ص، 15 .

[2] ـ المصدر نفسه، ص، 17.

[3] ـ المصدر نفسه، ص، 43.

*ـ علاقات ماصدقية (إشتمالية أو إمتدادية)،أي أنطباق المفهوم على عدد من الأفراد أو الأشياء.

هذه الصفات التي ذكرناها تمثل صفات للمفهوم و خارطة تمظهره التي تقوم على أساس من الإختلاف مع التصورات التقليدية للمفهوم.

II المبحث الثاني :

مكونات المفهوم عند دولوز : مادام المفهوم ينشط داخل فضاء و يرتبط بحدث و بمصير يعبر عنه ، فإن السطح هو المكان الطبيعي الذي ينشط و يتحرك فيه المفهوم فإنه هذا المفهوم يتشكل عبر مكونين اثنين و هما :

II-1-مسطح المحايثة

ان مسطح المحايثة له مكانة متميزة في فلسفة دولوز باعتباره الحامل الاساسي لكل فلسفته و كذا سطحا ضروريا للمفاهيم التي تبدعها الفلسفة فهو المحور التي تدور في فلكه كل فلسفة دولوز، و عليه بالامكان تعريف مسطح المحاثية ، من خلال اعتباره يمثل الصورة التي يضفيها الفكر على نفسه ، ويتم التعبير من خلالها عنه.

« إن مسطح المحايثة ليس مفهوما فكريا ، ولكنه صورة الفكر، الصورة التي يعطيها الفكر عن نفسه ، عن ماهية الفكر، وعن استعمال الفكر والتوجه داخل الفكر[1]».

من النص السالف الذكر يتضح أن المسطح ليس المفهوم، وليس منهجا كذلك ، وليس حالة معرفية خاصة بعمل الدماغ الى إعتباره أيضا ليس رأيا، فهو صورة الفكر عن نفسه فقط .

ومن خلال المثال الذي ساقه دولوزيمكن لنا اقامة فرز واضح بين المفهوم من جهة ،

[1] ـ جيل دولوز فليكس غتاري ، ماهي الفلسفة ،مصدر سابق ، ص، 56 .

و المسطح من جهة آخرى ، و لعل افضل طريقة لإيضاح العلاقة بينهما . لتوضيح مكونات و طبيعة المفهوم الرجوع الى مفهوم الكوجيتو الديكارتي هذا المفهوم كما يرى دولوز مكون من ثلاثة مركبات هي : الشك ، التفكير ، الوجود ، فهو مفهوم ثلاثي التركيب و هو مخترق في كافة مكوناته و في كل واحدة منها من خلال الانا ، انا اشك ،انا افكر ،اذا انا موجود ، ففي الاطار العام للمفهوم الديكارتي « انا اشك ، انا افكر اذا انا موجود نلاحظ الوجود الكثيف للانا و على مستوى تجزئ هذا الاطار نلاحظ كذلك حضور الانا في كافة الاجزاء لذلك من الممكن أن يكون كل جزء مكون من هذا المفهوم مفهوما مستقلا»[1] .

فدولوز هناك يقوم بنوع من التفكيك الذي يهدف من خلاله الى تعرية المفهوم من صورته التقليدية للوقوف على أسس ومرتكزات جديدة لهذا المفهوم تكون بديلا يتمثل في مرتكز عام. لم يخلو ولم يتجاوز النظام والنسق في أطره العامة، وكأن دولوز وهو يحاول الانعتاق من سلطة التأسيس وسلطة المركز يجعلنا نشعر بنوع من الغموض في فلسفته وما تتصف به من تعقيد في محاولة التجاوز التي يسعى الى تحقيقها في فلسفته. هذا ما يجعلنا نتساءل عن علاقة المسطح بالمفهوم ، فأين يقع المسطح من المفهوم؟

وهل توجد مسافة فاصلة بينهما؟ اذا كان المسطح صورة الفكر عن نفسه ، فاننا وبالتاكيد لن نجد أي علاقة بينهما لان صورة الفكر عن نفسه,تمثل اطارا عاما، بينما يمثل المفهوم جزءا مكون في هذا الاطار، لذا لانبتعد عن الصواب، اذا ما قلنا ان المفهوم يعد بمثابة الجزئية في مركب يدعى المسطح وهذا ما يعتقده دولوز.

[1] جيل دولوز فليكس غتاري ، ماهي الفلسفة ،مصدر سابق ، ص، 46.

« ان المفاهيم هي العمود الفقري، بينما المسطح هو بالاحرى الجمجمة التي تسبح فيها هذه المعزولات ،المفاهيم هي مساحات اوأحجام مطلقة ،عديمة الشكل ، بينما المسطح هو المطلق اللامحدود، يشبه الصحراء،التي تؤمها المفاهيم دون ان تقاسمها.و المفاهيم ذاتها هي المناطق الوحيدة في المسطح,ولكن المسطح هوالوحيد الذي يمسك بالمفاهيم»[1] .

ان التركيز في النص السابق يجعلنا نقف عند وصف دولوزللمسطح بإعتباره المطلق اللامحدود. الا يمثل هذا الفهم نوع من الميتافزيقا التي يرفضها دولوز باستمرار وفي كل مناسبة ، وهذا ربما سيكون مفتاحا جديدا للفلسفة المعاصرة ان تلج من جديد للمتيافزيقا التي صفت معها.جميع الحسابات وابعدتها عن كل ماهو فلسفي. واعتقدت ان قوة الفلسفة تزداد مع اللاتاسيس والتحرر من كل ما هو كلي،والعمل على الهوامش واللامركز.فصورة الفكر حسب دولوز تساوي المسطح .هذا الأخير الذي يكون حاملا للمفاهيم من نفس صنفه، المفاهيم يتم إبداعها ، والمسطحات يتم بناءها وتشييدها.ولكن تتضح اكثر العلاقة بين المفهوم والمسطح. ناخد مثال من الفلسفة الوسيطية التي كانت تسيرفي اتجاهين. كل اتجاه يسير وفق مخطط محاثية او صورة فكر تختلف عن الاخرى.ونقصد هنا الخط الافلاطوني، والخط الارسطي،انهما صورتا فكر متعارضتين لكل واحد منهما مفاهيمه، واتباعه,ومعارضيه ، كذلك نفس الشئ مع الكانطيين والهيجليين، انهم جميعا يسيرون وفق صورة فكر مسبقة ، ويقيمون مفاهيم على سطح افق تلك الصورة، فمسطح المحايثة الافلاطونية يقوم على اساس المفارقة ، والمثال المتعالى ... الخ ، وهكذا لكل فلسفة مسطح محايثة خاص بها. فدولوز

[1]- جيل دولوز فليكس غتاري ، ماهي الفلسفة ،مصدر سابق، ص، 47 .

رغم انه يتهرب احيانا كثيرة من فكرة التاسيس والنمذجة ويحارب المسلمات المسبقة كصور قبلية ينطلق منها التفكير وقد تكون سبب في أخطائه إلا أنه لا يجد مفر من الرجوع الى هذه المنطلقات القبلية، من خلال مسطح المحايثة الذي يشكل الجمجمة بالنسبة للمفاهيم. فاذا رجعنا الى إعتبار دولوز ان مسطح المحايثة لا يمثل المنهج ، فذلك لان المنهج مجموعة خطوات تسير وفق مفاهيم تعد بمثابة مسلمات ، مهمتها انتاج صورة لفكر معين و هذا مخالف تماما لما يعتقد دولوز : « ليس المسطح منهجا , ذلك ان كل منهج يتعلق ضمنا بالمفاهيم و يفترض تلك الصورة»[1]

كما لا يمثل المسطح لاحالة معرفية ، لانه ليس نتاج حالة للمعرفة ، تحاول معرفة طريقة عمل الدماغ و تكونها عنه ، انه صورة للفكر، لا يتعلق بالاشياء و حالات تلك الاشياء التي تشكل مجرد وقائع فالمسطح اذا ليس « حالة معرفية حول الدماغ وطريقة عمله لان الفكر هنا لا ينتسب الى الدماغ البطئ مثلما يتعلق بحالة الاشياء القابلة للتحديدعلميا[2] » اما من حيث المسطح ليس رايا وهذا ربما يعود الى النقد الذي مارسه دولوز على انماط تعريفات الفلسفة.التي اشرنا اليها سابقا من عدها مرة تاملا واخرى تفكيرا وتارة تواصلا,هذه الانماط الثلاثة مجرد اراء تكونها عن الفكر في عصر وزمن معين ومن منظور دولوز:

« ان المسطح ليس كالراي الذي نكونه عن الفكر,عن أشكاله وأهدافه ورسائله في هذه اللحظة أو تلك وهل يكون التامل والتفكير والتواصل شيئا اخر سوى الاراء التي نكونها عن

---

[1] ـ جيل دولوز فليكس غتاري ، ماهي الفلسفة ،مصدر سابق ، ص،56 .
[2] ـ المصدر نفسه ، ص، 46 .

الفكر في عصر معين وفي حضارة معينة»[1]

كما ان لمسطح المحايثة وجهين « من جهة الفكر ومن جهة الطبيعة , مثل المادة والروح»[2].

ومن خلال النص السابق نلاحظ ان دولوز يحاول اقامة نوع من الجمع بين الفكر والطبيعة،ليخلق نوعا من التداخل بين متضادين، وربما هذه اشارة ضمنية تحمل نوع من السخرية المبطنة انطلاقا من رفضه في الأساس لاي نوع من الثنائيات ما دام يدعونا الى النظر للكون من خلال منطق يعتمد ويقوم علي أساس من الكثرة وعلى صورة الفكر ان تعبر عن هذا الكون المتكثر بطبيعته ولا تكتفي بمسلمات صورة الفكر الكلاسيكية القائمة على التصور. لذا على مسطح المحايثة سواء كفكر او كطبيعة ان يشتغل وفق منطق واحد ويعبر عن ذات الشيئ[3] . ولهذا يبدو ان المسطح عند دولوز قد حل محل المذاهب والأنساق بحيث تتجاوز المسطحات وتتتابع وفق طريقة تستجيب لمتطلبات العصر بمقدار ما تمتلكه من محايثة و يمكن هنا ان نطرح امكانية التفاضل بين مسطح واخر ليجيب دولوز عن ذلك بالايجاب ويعطى لنا نموذج عن ذلك يتمثل في سبينوزا ، « هو السيرورة – الفيلسوف اللامتناهي لقد ابرز و اقام و فكر بمسطح المحايثة الافضل أي الاكثر نقاوة الذي لا يسلّم نفسه للمتعالي ، و كذلك لا يرد بشيء من المتعالي هو الذي يوحي باقل ما يمكن من الاوهام و المشاعر ، و الادراكات المغلوطة »[4] .و هذا ما يجعل مسطحات المحايثة متعددة تعدد صور الفكر. فليس هناك مسطح واحد بل مجموعة من الصور و المسطحات تتشكل و

---

[1] ـ جيل دولوز فليكس غتاري ، ماهي الفلسفة ،مصدر سابق ، ص، 57 .
[2] ـ المصدر نفسه ، الصفحة نفسها، .
[3] ـ حيدر ناظم محمد ، إشكالية الفلسفة ، مرجع سابق، ص، 173.
[4] ـ جيل دولوز فليكس غتاري ، ماهي الفلسفة ،مصدر سابق ، ص، 75 .

تزول ، كما ليس لها حيز زمني يحدد مدى صلاحيتها و بقائها. اذ من الممكن بقاء مسطح معين لفترة زمنية طويلة كما هو الحال مع انصار افلاطون و مع انصار كانط...الخ ، و لكن يمكن ان تحدث من حين الى اخر تعديلات قد تكون طفيفية على هذه المسطحات .و لكن رغم تهرب دولوز من المذاهب و الانساق كاسس نظرية يستند اليها كل فيلسوف في مواقفه حول القضايا التي يعالجها سواء كانت خاصة بالله أو بالكون أو بالانسان ، نجده يرمي بنفسه على المسطح كاساس نظري يشكل صورة الفكر عن نفسه ، هذه الصورة التي تكون بالضرورة متطابقة مع المفاهيم التي ينتجها الفيلسوف بشكل لا نهائي داخل المسطح لتحصل لها المحايثة مع متطلبات الحياة و الواقع باستمرار ، و منه يتضح ان الفكر الفلسفي مهما حاول ان يتخلص من النسقية فانه يعجز عن ذلك و يلجأ الى تسميات مختلفة لنفس المسمى و هذا مؤشر قوي جدا على أن الصراع مع الحداثة لم يحسم بعد.

2-الشخصيات المفهومية :

اذا كان مسطح المحايثة هو الفضاء الذي ينتشر فيه المفهوم كفعل فكر يتم ابداعه. تعد الشخصية المفهومية شرطا اخر مهم لبناء مجال للفلسفة لدى دولوز و كذا هي بمثابة الفاعل الحقيقي في الفلسفة . و لا يمثل الفيلسوف سوى قناع او اسم مستعار لشخصيته المفهومية التي يبتدعها ، فالفيلسوف هو مجرد غلاف يضم شخصيته المفهومية « اما اسم الفيلسوف فهو مجرد اسم مستعار لهذه الشخصيات »[1] فهذه الشخصية المفهومية لا علاقة لها ابدا مع أي شخصية تجريدية او رمز او استعارة ذلك لانها تحيا في واقع معين حتى لا تخلط بين

[1] ـ جيل دولوز فليكس غتاري ، ماهي الفلسفة ،مصدر سابق ، ص، 79 .

الشخصية المفهومية و الشخصية الحوارية فهذه الشخصية الاخيرة ليست سوى عارضة لمفاهيم الفيلسوف انها مجرد عارضة للافكار لغرض النقذ و التحوير في حين تشير الشخصية المفهومية الى فعل خلط و ابداع يكون في علاقة مع مسطح المحايثة . و خير مثال على ذلك شخصية سقراط في محاورات أفلاطون . هذا الاخير الذي يصبح فيه سقراط و من ثم سقراط الذي يصبح فيه فيلسوفا فالشخصية المفهومية لافلاطون ، سقراط.

وقد وظف دولوز الشخصية المفهومية لغرض انتقاد التقسيم التقليدي للفلسفة بين الذات و الموضوع المفارق و المحايث ،الأبله و الأستاذ على إعتبار أن الأبله هو المفكر الشخصي المناقض للأستاذ (العمومي المدرسي): فالأستاذ لا يكف عن الرجوع الى مفاهيم تعليمية « الانسان ، حيوان عاقل" في حين ان المفكر الشخصي انما يشكل مفهوما يقوي فطرية يمتلكها كل فرد بذاته لينتصر في نهاية المطاف و كما هو متوقع لشخصية الابله و بعدها شخصية مفهومية لديكارت نجحت في تجاوز المنطق التعليمي للاستاذ بحسب دولوز»[1] و لكن دولوز من خلال حكم القيمة الذي وصل اليه في شخصية الابله باعتبارها الشخصية التي تمارس التفكير بمعناه الحقيقي كونها تعتمدعلى عناصر فطرية طبيعية نتحكم فيها جملة من الملكات يفتقر الى معيار منطقي و نسق فكري من خلاله نحكم على صحة أو خطا هذا الحكم على اعتبار ان دولوز يبقى دائما رافض لهذا التأسيس ثم ان دولوز يضع للشخصية المفهومية عدة صفات تتصف بها في تاريخ الفلسفة و هي :

[1] ـ حيدر ناظم محمد ، إشكالية الفلسفة ، مرجع سابق، ص ص، 175-176.

1 **ـسمات من المعانات المرضية** :« فالابله هو الذي يريد ان يفكر بطريقته الخاصة و قد يتحول الى شخصية تلتزم الخرس فتتخذ بذالك معنى اخر»[1] لأن النموذج النفسي الاجتماعي هو الذي يكبت الحي و يسترق منه فكره و هذا التداخل و التلاقي يكون كما لو أن هناك حدثا شديد القوة يرد على حالة معاشه صعبة التحمل و هكذا المعاناة و قد تتحول الى مفاهيم على مسطح المحايثة .

2 **ـسمات علائقية** : و قد تكون شخصية الصديق الذي يحمل صفتي المحب و المنافس شخصيات ذات صفات علائقية "غير انه صديق ليس هو على علاقة بصديقه الا بواسطة عنصر اخر محبوب مثير للمنافسة انما "الراغب"و"المنافس" اللذان يتنازعان ذلك العنصر او المفهوم[2]

3 **ـسمات حركية دينامية** : فاذا كانت افعال تقدم ، تسلم، نزل تؤلف حركيات الشخصيات المفهومية (فان الافعال) قفز على طريقة كيركيغارد و رقص كما عند نيتشه ، و سبح كما عند ملغيل ، تدخل في عداد تلك الحركات و ينفذها رياضيون فلسفيون[3]

فدولوز ينظر الى المفكر على انه نوع من الرياضي نتخلى فيه من قيمة الطاقوية للنموذج الرياض من اجل أن يستخلص حركة أخلاقية خالصة تعبر عن ذاتها من شخصية مفهومية جديدة .

[1] ـ جيل دولوز فليكس غتاري ، ماهي الفلسفة ،مصدر سابق ، ص، 85 .
[2] ـ المصدر نفسه ، ص، 86 .
[3] ـ المصدر نفسه ، ص، 87 .

4 السمات الحقوقية و القانونية : بما يعني أن الفكر لا يكف عن الاعلان و المطالبة بما يرجع اليه من حقه ، من خلال شخصية القاضي التي تعود الى كانط « وهاهو كانط أخيراً قد جعل من الفيلسوف قاضيا حكما في ذات الوقت الذي يشكل فيه العقل محكمة »[1]

الا ينبغي ان يتحد القاضي و البرئ معا في شخصية واحدة حتى تحاكم الكائنات من الداخل ، و ليس باسم القانون او القيم و لكن بفضل المعايير المحايثة تماما لوجودهم بما يتجاوز الخير و الشر، بمعنى أن الفيلسوف يغدو متابعاً دائما الى مسطح محاثية يجعل من افعاله متجانسة حتما مع صور فكره عن ذاته ، مما يفتح المجال للشخصية المفهومية ان تاخد اشكال لا نهاية لها عبر المسطح

5 السمات الوجودية : كان نيتشه يقول أن الفلسفة تبتكر صيغا وجودية او امكانيات حياة لهذا يكفي الاتيان ببعض الطرائف الحياتية حتى تضع لوحة الفيلسوف[2] مثل ديوجين و البرميل الذي كان يسكنه , في إشارة الى تقشفه ، و استقلاله ، حكاية زواج كانط ،التي يعدها دولوز مطابقة لمذهب العقل « ان وجه وجسد الفلاسفة يسكنان هذه الشخصيات[3] مما تقدم يمكن النظر الى الشخصية المفهومية بكونها ما يخلق و يبث الحركة في الفكر ، و يرسم مجال حركة المفاهيم ، وكذا اعتبارها واسطة بين ذاتية المفكر وموضوعية الفكر، مما يشير بوضوح الى أن

[1] ـ جيل دولوز فليكس غتاري ، ماهي الفلسفة ، ص، 87 .
[2] ـ المصدر نفسه ، ص،88 .
[3]ـ المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

المفاهيم عند دولوز ليست مخططات و بناءات نظرية عامة و مجردة ، بل افعال الفكر و الشخصية المفهومية نتاج لهذه الافعال الفكرية و الرابط بين الموضوعي و الذاتي ، و البديل في ذات الوقت الذي يقدمه دولوز لتجاوز هذا التقسيم التقليدي الذي يدب في جسد الفلسفة[1] .

III المبحث الثالث : العلاقة بين الابداع و المفهوم:

سوف نتطرق في هذا المبحث الى تعريف الإبداع و التفكير الإبداعي ، ثم الى الفرق و الإبداع ، ثم الى إبداع المفهوم بين العلم و الفلسفة .

III- 1 مفهوم الابداع و التفكير الابداعي:

(أ) **مفهوم الابداع :** الابداع في اللغة العربية مصدر الفعل أبدع بمعنى إخترع او إبتكر على غير مثال سابق.

و تعرف الموسوعة الفلسفية العربية الابداع على انه انتاج شيء جديد او صياغة عناصر موجودة بصورة جديدة في أحد المجالات كالعلوم و الفنون و الاداب.

اما الموسوعة البريطانية الجديدة فتعرف الابداع على انه القدرة على ايجاد شيء جديد كحل لمشكلة ما او اداة جديدة او اثر فني او اسلوب جديد.

ففي قاموس علم النفس يعرف ريبر reber الابداع بانه تعبير يستخدمه المختصون و غيرهم للاشارة الى العمليات العقلية التي تؤدي الى حلول و افكار او اشكال فنية او نظريات او إنتاجات فريدة أو جديدة، ومنه يمكن إعتبار الاصالة والجدة كما يبدو و هي العامل المشترك

[1] ـ عادل حد جامي ، فلسفة جيل دولوز عن الإختلاف و الوجود ،(ط1 ، الدار البيضاء ، دار قويقال للنشر 2012) ،ص، 156.

بين هذه التعريفات و هي المحك الاهم في الحكم على مستوى الابداع في نتاجات الافراد عموما[1]. واكن المشكلة التي تبقى قائمة هنا هي عدم الاشارة الى المجموعة او الجهة التي نحتكم اليها على اصالة الانتاجات. اي كيف نعرف بانه عمل ما او حل لمشكلة ما يحقق شرط الجدة او الاصالة ؟ حتى يمكننا الاقتراب من دولوز و هو يقوم بعملية الابداع للمفاهيم ناخذ كمثال عن ذلك دراسته لبرغسون الذي كان يشهد له بتقطيع جديد للفلسفة و هو يتحدث عن الحدس ، مما جعل دولوز يتسائل عن جدوى هذا التقطيع و هل يسمح لنا بان نطرح الاسئلة الحقيقية ؟ و ان نلح المسائل الحقيقية و الاسئلة الجديرة بأن تثار ؟

وفعلا فان دولوز اثناء تعريفه للحدس و اثناء توضيح دوره المنهجي ,يقوم بتفكيك فكرة مسبقة كثيرا ما راجت لدى المشتغلين وهي التي مفادها ان الأهم في الفلسفة هو الحلول هو التوصل الى وضع حل للمشكلات.[2] ودولوز على غرار برغسون يرى في هذه الفكر نوعا من الوهم.

« في الواقع ،اننا نخطئ حين يعتقد بان الصحيح و الخطا يتعلقان فقط بالحلول ،لا يبتذئان الا مع الحلول .هذه الفكرة المسبقة هي فكرة اجتماعية لان المجتمع و اللغة التي تنقل منه الاوامر يعطيان لنا مشكلات جاهزة ، كما لو كانت خارجة من كراتين المدينة الادارية و يفرضان علينا ان نحلها عبر ترك هامش ضيق من الحرية لنا».[3]

---

[1] ـ فتحي عبد الفتاح مروانة ، الإبداع، مفهومه ، معاييره ، نظرياته ، قياسه، تدريبه ،مراحل العملية الإبداعية ، (ط2 ؛ عمان، دار الفكر ناشرون و موزعون ، الأردن ، 2009) ص،ص،19-20 .

[2] ـ خميس بوعلي ، جيل دولوز صورة الفيلسوف ،مرجع سابق، ص، 43.

[3] ـ جيل دولوز ، البرغسونية ، تعريب أسامة الحاج (ط1؛ بيروت ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ،1997)،ص،8 .

على إعتبار إن الفكرة المسبقة هي فكرة صبيانية و مدرسية ،المعلم هو الذي يعطي مشكلات ومهمة التلميذ هو ان يكشف حلها. و هو ما يجعلنا حبيسي نوع من العبودية ، و الحرية الحقيقية تكمن في القدرة على اتخاذ القرار،على تشكيل المشكلات بحد ذاتها. هذه القدرة يصفها دولوز بانها " نصف الهية " تستتبع اختفاء المشكلات الزائفة مثلما الظهور الخلاق للمشكلات الحقيقية، الحقيقة أن الأمر يتعلق في الفلسفة و حتى في غيرها بايجاد المشكلة و بالتالي طرحها اكثر مما بحلها... لكن طرح المشكلة ليس مجرد الإكتشاف. إنه الإختراع فالاكتشاف يتناول ماهو موجود سابقا بالفعل او بالقوة ،كان مؤكدا إذا سيجئ عاجلا أم أجلاً. أما الإختراع فيعطي الوجود لما لم يكن موجودا لما كان يمكن ألا يجي أبداً.[1]

بالنظر الى النصين السابقين يمكن أن نستخلص أن دولوز يعتبر أن للمسألة دائما الحل الذي تستحه وفق الطريقة التي يطرح بها، وللشروط التي يجري تحديدها بها و للوسائل أو العناصر التي هي في متناولنا لنقدر على طرحها بها . هكذا نجد ان تاريخ البشرية سواء تعلق الامر بما هو نظري او تعلق بالممارسة ، هو تاريخ تكوبن المشكلات و المسائل .

« و بهذا المعنى فان تاريخ الناس ,سواء لجهة نظرية ، او الجهة الممارسة ، هو تاريخ تكوين المشكلات ,هنا بالذات يصنعون تاريخهم ».[2]

و لعل دولوز من خلال دراسته هذه للحدس عند برغسون وتوضيح دوره المنهجي إهتدى الى قاعدتين أساسيتين :

---

[1] ـ المصدر السابق ، ص، 8 .

[2] ـ جيل دولوز ، البرغسونية ، مصدر سابق ، ص،5 .

1 **القاعدة الاولى** : أن البشر يصنعون تاريخهم وينتزعون وعيهم وحرياتهم إنتزاعا ضمن نشاط طرح المشكلات .

2 **القاعدة الثانية** : قاعدة الصراع ضد الوهم ،لاننا نقدر على الصراع مع الوهم إذا نحن إستطعنا عبر الحدس منهجا تجاوز حالة التجربة وأمسكنا بشروطها لانه بالعودة الى التجربة في شروطها ندرك تمفصلات الواقع ونعثر على ما يختلف من حيث الطبيعة في الخلائط المعطاة لنا و التي نحيا بها.[1]

(ب) <u>التفكير الابداعي:</u>

إن تعريف الإبداع قد لا يكتمل الحديث عنه إلا بالحديث عن التفكير الابداعي الذي لا يمكن اعتباره مجرد مهارة ، ولكنه عملية عقلية تتميز بالشمولية والتعقيد وينطوي على عوامل معرفية وإنفعالية وأخلاقية متداخلة تشكل حالة ذهنية نشطة وفريدة اضافة الى انه لا يحدث بمعزل عن عمليات التفكير الناقد والتفكير فوق المعرفي, وذلك لان التفكير الابداعي يتطلب سلسلة من عمليات التفكير التي تتضمن التخطيط والمراقبة والنقد والتنبؤ وغيرها ,وعليه فان الفصل بين التفكير الابداعي وغيره من عمليات التفكير المعقدة ليس ممكنا من الناحية العملية وتجدر هنا الاشارة الى الخطا الشائع المتمثل في الخلط بين مهارات التفكير وعملياته واستراتجياته الذي قد يصل احيانا الى حد التبسيط المضلل لمفهوم التفكير الابداعي.إن التفكير الإبداعي سلوك هادف لا يحدث في فراغ او بمعزل عن محتوى معرفي ذي قيمة غايته تتلخص في ايجاد حلول اصيلة لمشكلات قائمة في احد حقول المعرفة او

[1] ـ جيل دولوز ، البرغسونية ، مصدر سابق ، ص، 5

الحياة الانسانية . وقد لا يكون التفكير الابداعي مجرد مرادفا للتفكير المنتج ,وقد توصل جيلفور (Guilford 1897-1987) إلى هذه الحقيقة بإضافته عناصر أُخرى مثل القدرة على تحسس المشكلات في مجال الإختصاص والقدرة على إعادة تعريف المشكلة والتحرر من الجمود الوظيفي للتفكير من اجل الوصول الى حلول فريدة.[1] يقول دولوز « هكذا تكون مسالة الفلسفة هي النقطة الفريدة التي يلجا اليها كل من المفهوم والابداع الى بعضهما»[2] وهكذا تكون مسالة إبداع المفاهيم واحدة من أهم المسائل او الأدوات التي تجعل الفلسفة تحارب المنافسين في كل زمان وعصر حتى لا تتخلى عن وجودها او مكانها لصالح علوم اَخرى كعلوم الإنسان او السيوسيولوجية او غيرها ، حتى جاء عصر المعلوماتية والتسويق التجاري ، وأستحوذت المعارف الخاصة بالتواصل على المفهوم وقالت : « هذه من مهمتنا ونحن الخلاقين ، انما نحن منتجو المفاهيم ,نحن اصدقاء المفهوم نجعله داخل حاسوباتنا يصبح الاعلام هو الابداعية والشركة هي المفهوم »[3] هذا ما جعل دولوز يرفض الفلاسفة الجدد الذين إرتبطو بوسائل الاعلام وجعلوها منبرا للحوار و إثراء الفلسفة .

يقول دولوز : « لكن المفهوم لا يعطى وانما يبدع ويجب ابداعه ,لا يشكل وانما يطرح نفسه بنفسه داخل نفسه طرحا ذاتيا».[4] فهنا يبدو ان الابداع والطرح الذاتي متطابقان ما دام هذا المبدع بالفعل يتمتع بطرح ذاتي لنفسه في حدود سطح المحايثة كما مر علينا سابقا ,بحيث يعكس لنا تلك الخاصية الذاتية التي من خلالها نتعرف على الإبداع ، فالمفهوم بقدر ما

---

[1] ـ فتحي عبد الفتاح جروان ، الإبداع ،مفهومه،مرجع سابق،ص،ص،29-30
[2] ـ جيل دولوز فليكس غتاري ، ماهي الفلسفة ، مصدر سابق ، ص،35 .
[3] ـ المصدر نفسه ،ص،35 .
[4] ـ المصدر نفسه ،ص،35 .

يكون مبدعا ، فانه يطرح نفسه ، فكل ما يرتبط بنشاط إبداعي ما دام يطرح ذاته في ذاته بطريقة مستقلة وضرورية، بحيث يلعب الإقناع دور جوهري بهذه الضرورة عن طريق المفهوم ، و حسب هيجل فإن للمفهوم وجوه إنتماءات تشكل الجانب الذاتي الذي أبدع في ظله المفهوم بواسطة الوعي وفيه ، وذلك عبر تعاقب بالأرواح، بينما يقيم الزمن الجانب الآَخر الذي يطرح وفقه المفهوم ذاته يوحد الأرواح داخل مطلق الذات ، وعليه فان هيجل يتبين بأن لا علاقة للمفهوم بالفكرة العامة أو المجردة ،لأنه ليس تصور منطقي شكلي قائم على قواعد صارمة يتحدد من خلالها الحكم ، بقدر ما هو جزء من الأحداث المتواردة بإستمرارعلى الذات، ولا يحكمه إيضا غير مبدعة لا ترتبط الفلسفة ذاتها. وهذا ما جعل الفلسفة تتوسع بشكل لا محدد . وتزاحم مختلف العلوم والفنون في حركتها المستقلة,لانها كانت تهدف الى بناء الكليات والسرمديات بواسطة لحظاتها الخاصة، ولم تعد تتناول شخصيات إبداعها الخاص الإ كوجوه ثانوية.[1] لان المفهوم في وجهه الاخر هو تصدي لوجهة نظر الرأسمالية الشمولية مهما كانت القواعد الإجتماعية في نظرها، لأنها تشكل كارثة مطلقة بالنسبة للفكر،لأنها مدعاة للخمول الفكري و تصير الإنسان عبداً لحاجته لذلك فالمهمة الأكثر تواضعا هي الاهتمام ببيداغوجية المفهوم التي ينبغي لها ان تحل شروط الإبداع كعوامل للحظات تظل فريدة.[2]

[1] ـ جيل دولوز فليكس غتاري ، ماهي الفلسفة ، مصدر سابق ، ص،35

[2] ـ المصدر نفسه ، ص،36 .

و هنا تغدو الفلسفة فعلا داخليا و أثرا ينتجه الوعي بنفسه ، ضمن صيرورة هادئة متحكمة في إحداثياتها الخاصة .

2- الفرق و الابداع :

حاول دولوز أن يعيد النظر في شروط الخطاب الفلسفي و في كيفية إبداع الفرق و القول به من خلال تركيز سؤاله في الفلسفة على السؤال في وجوه إستعمال تاريخ الفلسفة ، و كذا على بلورة مداخل جديدة للمفهوم و تقاطعاته و حقول استخدامه في العلوم المختلفة ليجعل من المفاهيم فردات تؤثر في الحياة العادية و في زخم الافكار المتداولة او اليومية ، و ليجعل من الفيلسوف شخصا يبدع مفاهيم جديدة.[1]

كان دولوز مولع بالفرق و الابداع من اجل استشكال يقتضي مساءلة الفلسفة في حد ذاتها من حيث التعاطي مع فكرتها المخصوصة و كذا من حيث تعاطيها مع نفسها مع تاريخها. لذلك يبقى مشكل الفرق و الإبداع على إرتباط وثيق بمشكل الفلسفة نفسها، في هذاالاطار يمكن أن نتبين المنزلة الفلسفية لمفهوم الفرق في فلسفة دولوز و نتعقب المعنى الذي يكون به الفرق الابداعي شيئا من التفلسف نفسه ,لذلك فان دولوز قد حقق رغبته في تحقيق الفرق والإبداع أساساً وفق وجهين أولاً ولوج الأفق الحقيقي الذي يكشف عن الصورة الدغماتية كما لاحظنا في الفصل السابق ، ثانيا، بلورة فكر إبداعي يفتح أفاقاً جديدة تسمح بالدخول في الفلسفة وممارستها والإنتماء اليها بإعتبارها صورة جديدة تكشف عن تنوع الحياة وتنوع مظاهر الإبداع وممارسات التفكير. إذ « من غير المجدي إدعاء تشكيل مذهب الحقيقة اذا

[1] ـ أحمد عبد الحليم عطية ، جيل دولوز، سياسة الرغبة، مرجع سابق،ص ،324.

لم نخص في البداية المفترضات المسبقة والتي تعرض من الفكر هذه الصورة المشوهة».[1]

وقد استخرج دولوز ثلاثة اطروحات اساسية من خلالها تظهر الدغمائية في صورة الفكر وهي « لكن الفلاسفة يزعمون ان الفكر بما هو فكر يبحث عن الحقيقي, وانه يحب الحقيقي "قانونا" يريد الحقيقي" قانونا».[2] وكان الفلاسفة يقيمون رابطا قانونيا بين الفكر و الحقيقة يجعلنا نقع في نمذجة معينة قد تظلل الفكر و يقال لنا ان المفكر بوصفه مفكر يريد الحقيقة و يحبها (صدق المفكر) و ان الفكر بوصفه فكرا يمتلك الحقيقة او يحتويها صراحة (فطرية الفكر، قبلية المفاهيم) و إن التفكير هو الممارسة الطبيعية لطاقة ،و انه يكفي اذا التفكير حقا للتفكير مع حقيقة (طبيعة الفكر المستقيمة ، الفطرة السليمة المشتركة عالميا)

2. الخطا باعتباره الأثر الوحيد في الفكر بوصفه فكرا للقوى الخارجية التي تعارض الفكر لانه يقال لنا نتحرف عن الحقيقة، لكن بفعل قوى غريبة عن الفكر(الجسم ، الأهواء ، المصالح المحسوسة) لأننا لسنا كائنات مفكرة وحسب نسقط في الخطأ ننظر الى الزائف على أنه الحقيقة.

3. الطريقة بإعتبارها كافية من اجل التفكير بشكل جيد، انها تجعلنا ندخل في حقل ماله قيمة في كل زمان و مكان، لان الطريقة هي حيلة، لكي نلتحق بواسطتها بطبيعة الفكــر ننتسب الى هذه الطبيعة و نتفادى تأثير القوى الخارجية التي تفسدها و تلهينا و بها نتفادى الخطأ[3]. فمطلب دولوز الأساسي هو تحرير الفكر من هذه الصور التي تدعي الإستقامة

---

[1] ـ جيل دولوز، الفرق و المعاودة ، مصدر سابق ،ص،ص،326-327 .

[2] ـ جيل دولوز، نيتشه و الفلسفة ، مصدر سابق ، ص، 122.

[3] ـ المصدر نفسه ، ص، 132.

و محاولة إقتراح صورة جديدة للفكر تكون أكثر وضوحاً و أكثر تجنباً للوقوع في الخطأْ و يمكن لهذه الصورة أن تتجلى من خلال عناصر متكاملة تعني مايلي:

- عنصر الفكر ليس هو الحقيقي أن عنصر الفكر هو المعنى والقيمة وكذا مقولات الفكر ليست هي الحقيقي و الزائف ، بل النبيل و الخسيس العال و السافل ، وفقا لطبيعة القوى التي تستولي على الفكر يجد ذاته ، ثم المهمة النقدية و التعددية للفلسفة على حد قول نيتشه. الفلاسفة المعاصرين اصبحو نجوما مدنبة.[1] التي تخضع الحقيقي لامتحان السافل و لكن تخضع ايضا الزائف لامتحان الحقيقي. لان اجابات الفلسفة على الاسئلة التي تطرح عليها عادة ماتكون عدوانية و محزنة و معاكسة لانه لا يوجد نظام يستطيع الاطلاع بهذه المهمة عدا الفلسفة. هذه الصورة الجديدة للفكر التي تعتبر ان التفكير ليس هو الممارسة الطبيعية لطاقة مطلقا بحيث لا يفكر الفكر مطلقا لوحده و بذاته كما لا يحدث ان تحركه بكل بساطة قوى تبقى خارجة ان التفكير يتوقف على القوى التي تستولي على الفكر، فاذا كانت هذه القوى إرتكاسية طالما يجد الفكر معناه في القوى الإرتكاسية التي تشكل أسفل ما في الفكر و حين يعلن هيدجر أننا لا نفكر بعد فتمة أصل لهذه الموضوعة لدى نيتشه لاننا ننتظر القوى القادرة على ان تجعل من الفكر شيئا فاعلا، فاعلا بصورة مطلقة ، الفاعلية القادرة على أن تجعل منه إثباتاً، إن التفكير كنشاط ، هو دائما فاعليه ثانية للفكر. ليس للممارسة الطبيعية لطاقة بل هو حدث خارق في الفكر بالذات لأجل الفكر بالذات.[2] فلا

---

[1] ـ جيل دولوز، نيتشه و الفلسفة ، مصدر سابق ، ص، 136.

[2] ـ المصدر نفسه ، ص، 138.

يمكن ان نتصور فكر جديد دون أن تجبره فاعلية ما على التفكير، حتى يمارس عليه عنفا يرمي به في صيرورة فاعلة تجعل منه شيئا فاعلا على الدوام.

3 إبداع المفهوم بين العلم و الفلسفة

« ان العلم موضوعه ليس المفاهيم، بل الوظائف التي تتمثل كقضايا من انظمة خطابية معينة .. و بالمقابل، عندما يبنى موضوع معين علميا, بواسطة الوظائف، مثلا الفراغ الهندسي، فانه يتبقى علينا أن نبحث فيه عن المفهوم الفلسفي الذي ليس هومعطى أبداً في الوظيفة».[1]

من خلال النص السابق يتضح ان دولوز يحرص على تحديد الفرق بين المفهوم العلمي و المفهوم الفلسفي، حيث يؤكد على ان المفهوم العلمي يتحدد وفقا لوظائف أو قضايا محاولاً إكتشافها كما هي على إعتبار أن أحكامه تقريرية أي تقرر ماهو موجود واقعياً دون زيادة او نقصان او تصف ماهو موجود بشكل موضوعي لا مجال فيه لتدخل الذات او إضفاء جزء من ملكاتها على الحكم. و منه فالعلم لا يحتاج ابدا للفلسفة للقيام بمهمة إبداع المفهوم العلمي ما دام الأمر متعلق بالوظائف او القضايا عكس الفلسفة التي تعتبر المجال الفريد الذي يتم فيه الربط بين المفهوم و الإبداع لضمان تجددها وفق طبيعتها الخلاقة، و منه فالفلسفة تمنحنا مجموعة المفاهيم و هي: « مفاهيم تتاسس على شروط الفكر الخلاق و يمكن القول ان دولوز يسمي هذه الشروط صورة الفكر الخلاق ».[2]

[1]- جيل دولوز، نيتشه و الفلسفة ، مصدر سابق ، ص، 138.
[2]- خميس بوعلي ، جيل دولوز صورة الفيلسوف، مرجع سابق ،ص، 247.

و صورة الفكر المقصودة هنا هي صورته المحايثة التي هي بمثابة الفضاء الخلفي او هي خلفية المفكر أو الفيلسوف، حيث تتحرك الأفكار فتوضح ما يكون حقيقة أو حكما أو خطأ لأن الكثير من أخلط بين إشتغال الفلسفة على القضايا و المفاهيم و عن إشتغال المنطق عليها. فالفلسفة ليست إستدلالية حتى تنتج تشكيلة إستدلالية من القضايا فمرد هذا الخطأ هو الخلط الموجود بين المفهوم و القضية ، وهو خلط يعتبر القضية توترا داخليا حقيقيا ، فبحسب دولوز هذه هي الفكرة الطفولية التي كونها المنطق من الفلسفة.[1]

تحت هذه الشروط، يبدو الفارق الاول هو في موقف كل من العلم و الفلسفة بالنسبة للسديم*

فإذا كان السديم يعرف بالسرعة اللامتناهية التي يتلاشى بها الشكل الذي يرسم في السديم ، أكثر مما نعرفه بالفوضى التي يمتاز بها ، بإعتباره فراغ و ليس عدما، فإنه مجال فرضي يحتوي على كل الجزيئات الممكنة التي يمكن أن نستخرج منها كل الأشكال الممكنة تظهر ثم تتختفي بعد الظهور في سرعة لا متناهية من الولادة و التلاشي.

فالعلم و الفلسفة لكل طريقته الخاصة في مواجهة السديم فالعلم له طريقة لمواجهة السديم ، و هي تقريبا معاكسة للفلسفة ،لأنه يتخلى عن اللامتناهي و عن السرعة اللامتناهية ليكتسب مرجعاً قادراً على تفعيل تحيين الفرضي، و العلم بتخليه عن اللامتناهي يعطي الفرضي مرجعا يفعله بالوظائف، و منه فالعلم يعمل بمسطح مرجعي و في حالة العلم هده يبدو الامر و كانه توقف على صورة ،لان الوظيفة التي يحاول العلم اكتشافها تجعله يتباطئ، لان المادة

---

[1]ـ خميس بوعلي ، جيل دولوز صورة الفيلسوف ، مرجع السابق ،ص،246.
*ـ السديم : أجرام سماوية ذات مظهر في الفلك منتشر غير منتظم مكون من غاز متخلخل من الهيدروجين و الهيليوم و غبار كوني ، نقلا عن جيل دولوز ، فليكس غتاري ، ماهي الفلسفة ، ص،129 .

تحضر بواسطة التباطؤ، و حتى الفكر العلمي قادر على ولوج المادة بواسطة القضايا الاستقرائية ،لان الإبطاء في السديم يعني وضع حد في السديم تمر من تحته كل السرعات بحيث تشكل متغيرا محددا كاحداثي عمودي, في الوقت الدي يشكل الحد ثابتة شمولية لا تستطيع تجاوزها (مثلا حد اقصى من الإنقباض). العناصر الوظيفية الاولى هي إذاً الحد و المتغير، و المرجع هو علاقة بين قيم المتغير أو بشكل أعمق ، هو علاقة المتغير كاحداثي عمودي للسرعات مع الحد . أما الفلسفة تحاول أن تعرف كيف تحفظ السرعات اللامتناهية مع اكتساب الكثافة ** و مع اعطاء كثافة خاصة للفرضى ***

ان الغربال الفلسفي كمسطح محاثية يقطع السديم, ينتخب حركات الفكر اللامتناهية و يمتلئ بالمفاهيم المكونة كجزيئات متكاثفة لها سرعة الفكر نفسها, و الفلسفة التي تحتفظ باللامتناهي تعطي كثافة للفرض بالمفاهيم فالفلسفة تعمل بواسطة مسطح المحايثة او كثافة[1]

لقد سبق لنيتشه ان بين ان ما وجدته الفلسفة عند اليونانيين ليس اصلاً ، بل بيئة،أوجوا، أو محيطا، ينخرط دولوز في نفس الفكرة، لأنهما يتفقان في مفهوم الزمان الدائري. و مفهوم العود علي بدء. فالفلسفة اذن لم ترث من الأغريق أصلاً، و انما أسلوب تفكير يستطيع استعادة حركة الاغريق في تكرار بادي من جديد، لأن هذا التفكير لا يكف عن التغير في إتجاهات كثيرة، فالكينونة تغير إتجاهاتها وتاريخها هو تاريخ تغير أرضها ، إنتزاعها من أرض و توطينها بأرض أخرى ، وهذا التغير هو سياق التطور الذي يحدث في العالم، و

**ـ الكثافة هي صفة فيزيائية للمادة و تعبر عن كتلة وحدة الحجم لمادة ما,

***ـالفرضي فكرة يؤخذ بها قضية أو حل مسألة .

[1] ـ جيل دولوز فليكس غتاري ، ماهي الفلسفة ، مصدر سابق ، ص،138 .

يترتب عن ذلك أن الفلسفة هي جيوفلسفة تماما مثل التاريخ هو جيو تاريخ ، و يترتب ان هذا المفهوم الجديد يلخص الفلسفة و ينتزعها من الطقوس التي تربطها بمفهوم الاصل "ولكن هذا الهروب للمفهوم و الإنزياح الدائم للفلسفة ،يترجم حركة الفلسفة هي حركة تغير و تركيب»[1]

وهكذا يمكن القول ان العلم و الفلسفة يتبعان طريقين متعارضين ، و إذا كانت الفلسفة تجد كمرجعية لها الأحداث ، فان العلم يعتبر مرجعية كامنة في حالات الأشياء .

و كذا فارق أخر بين العلم و الفلسفة يظهر على مستوى ما يعترضه كل منهما , ففي العلم لا يوجد اي خلق او إبداع دون تجربة ، اما في الفلسفة تفترض الإبداع على مستوى تجربة الفيلسوف و دورها فيما يبدعه من مفاهيم، و ما يخطه من تصور للفلسفة .

و عليه لا يمكن ان نتصور في الفلسفة مفهوم دون إبداع فالعلاقة بينهما علاقة تلازم في الحضور تفرضها الضرورة التي يجب أن نقنع بها الدارس للفلسفة و أن نغير من خلالها القناعات من حين لاخر حتى تفرض حركية في الفكر تقابلها حركية في الحياة .

---

[1] ـ خميس بوعلي ، جيل دولوز صورة الفيلسوف، مرجع سابق ،ص، 252.

سوف نتطرق في هذا الفصل الى ثلاثة مباحث أساسية أولها الفلسفة كابداع المفاهيم ، و ثانيا مفاهيم دولوزية و ثالثا مقاربة نقدية لفكر دولوز .

المبحث الأول: الفلسفة كإبداع المفاهيم

من خلال هذا المبحث سوف نتعرض الى الوظيفة الاولى للفلسفة وكيف عمل دولوز على إستعمالها في شتى ميادين المعرفة .

1 . إبداع المفاهيم كوظيفة أولي:

يقول دولوز :« حتى أن تاريخ الفلسفة عينه يمكن ان يغدو عديم الاهمية اذا لم يعزم على ايقاظ مفهوم نائم و يعيد تحريكه فوق مسرح جديد، وحتى ان جعله ذلك ينقلب على نفسه»[1]. بالرجوع الى هذا النص يمكن اعتبار الفلسفة في نظر دولوز هي المجال الوحيد الذي يعني بإبـداع المفاهيم لمنحها وظيفة داخل الحياة .

مادام للفلسفة منافسين يتجددون عبر التاريخ منذ أفلاطون الذي جابه منافسين أعلن كـل واحـد منهم : أن الفيلسوف الحقيقي هو انأ ، فالسفسطائي نازع أفلاطون أشلاء الحكيم، فكان خلق المفاهيم هو الفيصل في ذلك التمييز بين الصديق الكاذب والصديق المزعوم بين المقبل على الفلسفة وبين المتظاهر فكان عمل أفلاطون هو الأفكار وتحديد الماهية ،هذه الصورة تتجدد اليوم مع منافسين أكثر قوة وأكثر شراسة بدءا مـن العلوم الإنسانية حيث أرادت السوسيولوجيا أن تحل محــل الفلسفة وحدث ، أن تتازلت هذه الأخيرة عن خلق

---

1 - جيل دولوز فليكس غتاري ، ماهي الفلسفة ، مصدر سابق ، ص،98 .

المفاهيم وحفلت بالكليات، وبعدها السوسيولوجيا ثم أتت الإبستيمولوجيا ثم أتي علم اللسانيات وأخيرا التحليل النفسي والتحليل المنطقي. و التي أرادت جميعها افتكاك أرض الفلسفة واقتلاعها منها عبر تحويل طبيعة المفاهيم بجعلها تارة جماعية وطور مفاهيم للعالم خلقتها الشعوب وقواها الحية،التاريخية والروحانية ، أما المحنة الأكبر كانت مع الاعلامية ودراسات التسويق والإعلان أرادت فروع الاتصال هـذه افتكاك عملية خلق المفاهيم وأعلنتها مهمتها الأولى.[1]

لكن دولوز يتساءل إن كان من الممكن قبول وضع كهذا ان كان ممكنا قبول فكـرة احلال التنمية محل النقد الفلسفي ، وإحلال عارضي المنتوج الفني محل الفيلسوف.وقبول وقوف الفلسفة كشخص وقور في صنف واحد مع كوادر شابة لتصارعها حول تحديد شكل سلعي للمفهوم ؟

انه وضع مهين إلا انه غير دائم لأن هؤلاء المنافسين بهم من قلة الذكاء ما يسمح للفلسفة بإفتكاك أفق إبداع المفاهيم منهم ، إذ الفلسفة هي النقطة الفريدة حيث يتم الترابط بين المفهـوم والإبداع.

يقول دولوز :« كلما تم إبداع المفاهيم في مكان وزمان ما ، فإن العملية المؤدية اليه ستسمى دائما فلسفة ،او لن تتميز عنها نهائيا حتى وان أطلق عليها اسم آخر».[2]

فالمفهوم لا ينفصل عن الفضـاء الفلسفي وإنما يلتصق به ويضمن خصوصيته ،فإن إذا كان للفنون وللعلوم أدواتها وأفكارها الخلاقة الخاصة وإذا كانت هذه المجالات تنعم بتاريخها

---

[1] ـ خميس بوعلي ، جيل دولوز صورة الفيلسوف ،مرجع سابق، ص، 244.
[2] ـ جيل دولوز فليكس غتاري ، ماهي الفلسفة ، مصدر سابق ، ص،33 .

الخاص، و صيرورتها الخاصة, وبعلاقاتها المتنوعة فيما بينها، فإن للفلسفة أيضاً ما يضمن وحدتها من خلال التغير الذي يصيبها ، والمفهوم بالضبط هو المعبر عن معنى أساسي لوحدة الفلسفة ،إذ مهما قلنا عن تغير الفلسفة وحتى عن موتهاو انهيارها، فإنه ستظل هناك عودة إلى الفلسفة التي تعني بإبداع المفاهيم لمنحها وظيفة في الحياة .

ويبقي التحديد الحاسم للفلسفة هي أنها معرفة من خلال المفاهيم وحتى فضاء المحايثة يبني عبـر المفاهيم.ولعل دولوز قد إستفاد من نيتشه بالإعتماد على الأنزياح الذي أقامه في مفهوم الحقيقـة ضمن تصور منطق للحقيقة يقوم على المطابقة بين التصور والواقع إلى إعتبار الحقيقة مشكلا، فهي لم تعد بحاجة إلى أن تؤسس على قواعد ، بل أصبحت بالمقابل خلق وإبداع ، ما دامت الأولوية تكون للفكر الخلاّق، ولمقدرته الخـلاّقة ، لأن المفاهيم تتأسس على شروط وليس علي حقائق، وهي شروط الفكر الخلاق، ويمكن القول :

أن دولوز يسمي هذه الشروط صورة الفكر.وصورة الفكر هي بمثابة المخطط أو الفضاء الخلفي أو هي خلفية المفكر أو كما يسميها دولـوز صورة المحايثة ، غير المفارقة[1].

I.2 مفاهيـــــم دولوزية

لقد تميَّز دولوز بجملة من المفاهيم المتميزة التي تعكس شخصيته المفهومية ، ومن خلالها قد عالج مجموعة من القضايا أهمها :

1 ـ خميس بوعلي ، جيل دولوز صورة الفيلسوف ، مرجع سابق ، ص، 143.

1. كيمياء التغيير الثوري

« لم تعد الدولة تتوفر عليى وسائل سياسية و مؤسساتية أو حتى مالية تمكنها من تجنب العواقب الإجتماعية للألة ، يستبعد كثيرا ان يكون في إستطاعة الدولة الإستمرار دائما في الإعتماد على الأشكال القديمة مثل رجال النظام و البيروقراطيات حتى و إن كانت هذه الاخيرة نقابية ، و لا الإعتماد على التجهيزات الجماعية و المدارس و العائلات ... ليس من الغريب أن تظهر من جديد ، في أشكال ثورية حديثة و ليس في شكل قديم ، جميع أنواع القضايا المتعلقة بالاقليات ، كالقضايا اللسانية و الإثنية و الإقليمية و الشبابية ، أشكال ثورية تضع موضع تسأل و من داخل النظام ذاته ، الإقتصاد العالمي»[1]

ولكن عند دولوز يختلف تصور التغيير الثوري عن التصور الماركسي تمامًا ، فهو ليس خطة أو مشروعا يتحقق في التاريخ و لا ينشأ بسبب الاستقلال بقدر ما هو تدفق الرغبة الذي يجعلها ليست وقفا على طبقة اجتماعية معينة و لا يستهدف الوصول إلى سلطة الدولة و لا يتم وفقه تخطيط نظري مسبق قابل للتنفيذ ، ولكنه يتم من خلال إنبثاقات عفوية في المجال الاجتماعي لا تتسم بالاستمرارية بل هي عابرة تظهر و تختفي.[2]

2. الجذامير

الجذمور هو جزء يقطع من ساق النباتات و يستخدم في إعادة إنباتها و قد استخدم دولوز هذا المجاز في كتابيه الأخيرين "السهول الألف و "ما هي الفلسفة" لأنه يحقق عند دولوز

[1] ـ جيل دولوز، كلير بارني ، حورات في الفلسفة و الأدب و التحليل النفسي و السياسة ، تر، عبد الحي أرزقان و أحمد العولمي ، (دط، بيروت ، دار إفريقيا الشرق ، 1999) ، ص ص، 185-186.

[2] ـ أحمد عبد الحليم عطية، جيل دولوز ، سياسة الرغبة، مرجع سابق ،38 .

إشارة قوية للدلالة علي أفكار طالما نادى بها، فهو يشير إلى ضرورة التخلص من نزعة البحث عن الجذور أو العودة إلى الأصول أو لحظة الميلاد الأولي.[1]

«يتعلق الامر بتطورات لا متوازية بين كائنات لا متجانسة ، تطورات لا تعمل عبر التشكل و إنما تقفز من خط الى أخر ، يتعلق الأمر بتصدعات و إنفصالات متعددة الإدراك تكسر الخطوط حتى و إن أدى بها الامر الى الإستمرار في مكان أخر ، قافزة على القطيعات الحاملة للدلالة ... الجذمور هو كل هذا ».[2]

فدولوز يحمل شعار " فلنبدأ من الوسط " والجذمور هو الوسيلة الأساسية لتنفيذ هذا الشعار ،هــذا ما جعله نداء لكل الطامحين في تحرير رغباتهم, « كونوا جذامير ولا تكونوا جذورا, الشجرة نسب أما الجذور فهو خلف الشجرة تفرض فعل الكينونة بين الموضوع والمحمول أمـا الجذمور فيفترض حرف العطف. لا داعي للبدء في شيء أو الانتهاء منه، فقط يحسن الخروج والدخول انه الوسط ليس نقطة بين طرفية ولكنه اتجاه عمودي وحركة اختراقية تأخذ الطرفين في غمارها.[3]

بحيث يري دولوز أن تمييز الجذمور عن الشجرة وعن البذرة وعن الجذر يحقق ثلاثة شروط أساسية وهي : الاتصال و الغيرية و التعددية التي لا تميل لأصل يجمعها .و يرى أيضا أن كل اللغات قد تكونت طبقا لهذه الآلية ، فصورة الجذمور هي التي أكسبت الفكر ديناميكية و قدرة على التوليد.[4] وحتى في السياسة يقف الجذمور ضد النزعات الأصولية، كما يقف ضد

---

[1] ـ عبد الحليم عطية ، جيل دولوز سياسة الرغبة ، مرجع سابق ، ص، 39.
[2]ـ جيل دولوز كلير بارني ، حوارات في الفلسفة ، مصدر سابق ، ص، 36.
[3]ـ عبد الحليم عطية ، جيل دولوز سياسة الرغبة ، مرجع سابق ، ص، 40.
[4]ـ المرجع نفسه،ص،39.

فكرة تأسيس عهد جديد على أنقاض الماضي أو ما يسمى بالصفحة الجديدة التي تبدأ صبيحة الثورات السياسية .

<u>3. الرحال</u> : كان يحلو لدولوز ان يطلق على نفسه الفيلسوف الرحال (Nomade)، مشيرًا الى إختياره العمدي لعدم الإستقرار في مذهب معين و عدم الإنكباب على قضية بعينها . و قد إستلهم دولوز هذه التسمية من إشارة كانط في كتاب " نقد العقل الخالص" الى دخول نزعة الشك في الفكر اليوناني وهدم المقولات الراسخة في الميتافزيقا على يد البدو أو الرحل.

« إن الأرض في نهية المطاف هي ذاتها متغيرة الموطن (يزداد إتساع الصحراء ...) و الرحل ، أناس الأرض هم الذين يشكلون إنسان التغيير الموطني ، حتى و إن كان الامر ينطبق على الإنسان الذي لا يتحرك و الذي يظل متعلق بالوسط ، صحراء إن كانت أم سهبا، ».[1]

إن السطح الإجتماعي عند دولوز هو مكان التقاء مجموعة متشابكة من الخطوط يسعى النظـــام الاجتماعي ان يضعها داخل إطار تقعيدي معين عن طريق القيام بعملية توطين (territorialisation). و الرحال يبحث في هذا السطح عن الخطوط التي تمكنه من الهرب من هذا الاطار التقعيدي و لهذا فهو يواجه التوطين بعمليات ترحيل مستمرة .

وآلية الترحيل هذه تعمل في مجال السياسة كما تعمل في مجال الأدب والفن. فاللغز على سبيل المثال في نظر دولوز هو مفهوم بلا مدلول أو بلا ماصدقات فالنحن لا يستطيع أن يحدد سمات جوهرية تميّز ما هو فني ،أو تشير إلى موضوعات بعينها، بإعتبارها

[1] ـ جيل دولوز ، كلير بارني ، حوارات في الفلسفة ، مصدر سابق ،ص ص،170-171 .

موضوعات فنية ،إنه الفن لا يصبح فنًا إلا إذا أتاح القيام بعملية ترحيل او خروج عن الاطار التقعيدي أي إذا أصبح خطوطا للإفلات.

أما في مجال السياسة فقد كان الرحل دومًا هم الخارجون عن سلطة الدولة و كانوا محاربين كبار. « ليس للرحل لا ماض و لا مستقبل ، لديهم صيرورات فقط ـ إمرأة ، صيرورة ـ حيوان صيرورة فرس ، فنهم البرع في الاهتمام بالحيوانات لا تاريخ للرحل ، لديهم جغرافيا يقول نيتشه : (إنهم يحلون كالقدر بدون سبب ،و بدون دافع ، و بدون إعتبار و بدون دريعة) ... إن الرحل قد يكونوا إخترعوا آلة الحرب ، الشيء الذي يفيد أن الدول لم تكن تمتلكها و أن سلطة الدولة كانت مؤسسة على شيء آخر. ستكون مهمة ضخمة بالنسبة للدول ، أن تحاول إمتلاك آلة الحرب يجعلها مؤسسة عسكرية أو جيشا لتوجيهها ضد الرحل... وليست ألة الحرب في البداية جزءا من جهاز الدولة ، ليست تنظيما للدولة ، إنها تنظيم للرحل من حيث كونهم لا يتوفرون على جهاز دولة ».[1]

يبقى الفكر الدولوزي في إطار فكر الترحال عصي على المجتمعات المغلفة و الراكدة أو المتخلفة بشكل عام ،لأن مثل هذا النوع من الفكر يقتضي مناخ فكري متطور وراق إلى درجة تسمح له بالإقناع بالضرورات الجديدة ، التي تجعل المجتمع قادر علي الإستمرار في التغيير.

4. السياسات الصغرى: دولوز كعادته يستفيد من الفيزياء في مجال السياسة، حيث ينطلق من تمييز تقوم به الفيزياء المعاصرة بين المجال الكتلي والمجال الذري .يقابل هذا التمييز

[1] ـ جيل دولوز ، كلير بارني ، حوارات في الفلسفة ، مصدر سابق ،ص،43.

في المجال الإجتماعي تمييزا بين السياسات الكبرى التي تهدف إلى السيطرة وإلى الصياغة الشاملة للمجال الإجتماعي وبين السياسات الصغرى أو الذرية التي تقوم بها مجموعات صغيرة تبحث عن خطوط الإفلات وفي واقع الأمر « إن ما يصنع التاريخ الحقيقي لا يحدث على المستوى الكتلي بل يتم على المستوى الذري ».[1]

وفاعلية المقاومة على المستوى الذري تزداد مع تطور الرأسمالية نفسها وذلك لأنها إنتقلت من منطق الإنضباط السائد في القرن التاسع عشر(19) ، والنصف الأول من القرن العشرين(20) ,إلى منطق التحكم, ويقصد بالإنضباط عملية إخضاع النظام الإجتماعي للأفراد عن طريق مجموعة من المؤسسات مثل الأسرة والمصنع والمدرسة والجيش ومعاقبة الخارجين عن الإنضباط بالحبس ولكن التطور الاقتصادي للرأسمالية أدى إلى شكل جديد من أشكال الإخضاع أكثر انتشارا وأقل ظهور وهو التحكم . يستهدف دولوز من هذا الرصد للرأسمالية المتأخرة التمهيد لطرح منطقه في التغيير الثوري والتبرير لإختلافه عن المشروعات الثورية الموروثة عن الماركسية، بحيث يحدد ملامح هذا التغيير قائلا :« ليس من المدهش أن كل أنواع القضايا العرقية واللغوية والأقلية والإقليمية والجنسية والشبابية تنبثق ليس فقط كنزعات ماضوية ولكن في شكل ثورية راهنة تضع بصورة شاملة موضع المساءلة كلا من الاقتصاد المعولم وترتيبات الدولة القومية ...

لماذا لا نتصور أن نمطا جديدا للثورة في طريقه لأن يكون ممكنا ».[2]

---

[1]- أحمد عبد الحليم عطية، جيل دولوز ، سياسة الرغبة ، مرجع سابق ،39 .
[2]- جيل دولوز ، نقلا عن ، المرجع السابق،ص،ص،44-45 .

فالثورة حسب دولوز أصبحت هي الأخرى تتسم بالتشظي مادامت تصدر عن الأقليات التي تظل كذلك ولكنها تخلخل دعائم الرأسمالية لأنها تمتلك القدرة على الابتكار وقلب الشفرات وإجراء عمليات الترحيل التي تتم كلها على المستوى الذري، في هذه الحالة الدولة ستخسر لا محالة لأنه ليس بمقدورها مراقبة كل شيء .

3 . الكتابة الدولوزية

دولوز بطبيعته يكتب في مجالات شتى متفرقة هنا وهناك,زيادة على انـه أبدع جملة من المفاهيم ترتبط بشكل وثيق باللغة التي بدورها أصبحت حاملة للأفكار ومع ذلك لم يترك لنا ما يمكن الاعتماد عليه في الكتابة، لكن من خلال الاعتماد على طريقته في الكتابة المتميزة بالخبرية، من خلال الإعتماد على كتابه الأخير" نقد وعيادة" يمكن التركيز على فكرتين هما: الفنان الطبيب، ثم الفن في علاقته بالمرض وبالعلة وبالوهن[1] فالفكرة الأولى أي الفنان الطبيب أستمدها دولوز من نيتشة الذي بدوره أكد هذه الفكرة .

علاقة الإبداع بوصفة تشخيص مظاهر العلة في المجتمعات ، بحيث بيّن الدور الايجابي الذي يقوم به كل فنان ، في الحضارة بل أن مفهوم الطبيب يطلق أيضا على الفيلسوف أي على المبدع عامـــة وكتابه الأخير قد جمع بطريقة قد تبدو غريبة بين فلاسفة وأدباء ، وهو تجاور يهدف دولوز من خلاله إلى بيان ان الأمر يتعلق بنفس العمل وان عمل هؤلاء قد ينحدر من ممارسات فكرية مختلفة ولكن قد يصب في نفس النتيجة .

---

[1] ـ خميس بوعلي ، جيل دولوز صورة الفيلسوف، مرجع سابق ، ص، 300.

فدولوز عندما تحدث عن الرواية السبينوزية* ، لا لأنها تمثل محتويات ، وإنما هي صيغ تعبير: العلامات والمفاهيم والماهيات، التي تمثل في الأساس روافد كتاب الإتيقا الثلاثة ،فالأمر يتعلق بثلاثة أنماط من المعرفة ومن ضروب الوجود والتعبير. للعلامة عدة معاني عند سبينوزا (Spinoza 1632_1677) إلا أنها دائما أثر ناتج عن علاقة جسم بأخر ، ثم تأتي المفاهيم بإعتبارها تصورات الأشياء ، أما الأشياء فهي علل ، أما الآتيقا الثالثة إتيقا الماهيات أو الفردانيات .ما يفعله دولوز هو إستخلاص تصورين إثنين: النظام والعلامة دائما ثمة نظام متبع وثمة علامة تعطي المعني وتنتج الحدث ، وهذا ما يزيد من تبرير التجاور بين الفلاسفة والأدباء. لذلك فإن طريقة الكتابة عند دولوز تستند إلى دراسة نظام العلامات داخل كل أثر فني حتى أن تلك الدراسة هي التي تمكن من فهم نظام الأفكار عند الأدباء ، بمعني أنه لا وجود لنظام نموذج ، بل ثمة أنظمة متنوعة ، هناك كثرة على مستوى الأنظمة الفكرية فلكل أديب نظامه الخاص به على المستوى الشكلي .أما من حيث المضمون او المحتوى فإن مهمة الاديب مهمة خلق وإبداع تعكس مدى قدرته على تشخيص أعراض الحياة و أعراض الحضارة بشكل عام .[1]

« فالكتابة هي رسم خطوط هروبية ليست خيالية ، و نكون مجبرين على إتباعها ، لأن الكتابة تلزمنا بها و تقحمنا فيها في الحقيقة »[2] و هكذا تبقى الكتابة لحظة للإفلات تجعل الكاتب لا يلتزم بصرامة القواعد .

---

[1] - خميس بوعلى ، جيل دولوز ،صورة الفيلسوف ، مرجع سابق ، ص، 301.
[2] - جيل دولوز ، كلير بارني ، حوارات في الفلسفة مصدر سابق ، ص، 59.

لكن عملية تشخيص المرض لا تدل على مرض عضوي عند الفنان ، وإنما تدل على مقدار الصحة الذي لديه بما يمكنه من تحديد علامات المرض،إن الفنان هو طبيب نفسه و الآخرين.[1]

فمثلا مازوش وهو يعطي إسمه أحد الأمراض التي شخص أعراضها ، ودرس أسبابها لا يعني انه مريض ، بل هو شخص له من القدرة و من رهافة الاحساس و من المؤهلات الابداعية ما مكنه من تحديد شروط الصحة الى جانب إبداع أشخاص داخل الرواية، و لعلى كتاب دولوز المذكور أنفا يخدم نفس الغرض ، فمفهوم النقد يحقق فضاء او مخطط حيث تدفق الصيرورات ، و مفهوم العيادة يحقق فضاءا او مخططًا آخر هو خط تحقيق الغبطة و لقاء الحياة و الهروب من المرض .

فمن خلال دولوز نحن إزاء ممارسة فلسفية منفتحة على المجالات الابداعية ، تلتقط منها ما يمكن أن يمدها بعناصر تساعدها على استيفاء شروط هذه الممارسة و على تحقيق خيرية فلسفية بعناصر غير فلسفية ، هذا ما جعل دولوز يؤكد على ان الكتابة مواجهة و مسار حياة ضمن المعاش .

---

[1]ـ جيل دولوز، نقلا عن خميس بوعلي ، جيل دولوز صورة الفيلسوف ،مرجع سابق، ص، 302.

II– المبحث الثاني : مجالات التفلسف الدولوزي :

سوف نقتصر في هذا المبحث إلى التطرق لثلاثة مجالات فكرية خاض فيها دولوز ؛ مشكلة الحرية ثم السياسة و الفن ، ثم الفلسفة و الفن .

1 – مشكـــلة الحريـــة : ‹‹ وحدها كائنات حرة يمكن أن تخضع للعقل العملي ، إن هذا الأخير يشرع بخصوص كائنات حرة أو لمزيد من الدقة بخصوص سببية هذه الكائنات (عملية يكون بها كائن حر سببا لشيء ما) ، لم نعد ننظر الآن إلى مفهوم الحرية لنفسه بل إلى ما يمثله مفهوم هكذا.[1]

و من خلال النص يحاول دولوز أن يؤكد على أن الكائنات أو الظواهر كلها تظهر ضمن شروط سابقة عليها في المكان و الزمان هذه الشروط تشكل سببية طبيعية ، بحث كل شئ يحسبها ناتج عن شئ أخر إلى ما لا نهاية له و كل سبب مرتبط بسبب سابق له ، أي جميع الظواهر و الكائنات تخضع لحتمية صارمة لا مجال لها للإفلات منها .

لهذا يرى دولوز أن الحرية يتم تعريفها على العكس من ذلك : ‹‹ بقدرة على أن تبدأ من ذاتها وضعا ، لا تدخل سببية بدورها (كما في القانون الطبيعي) في سبب أخر يحددها في الزمن››.[2]

إنطلاقا من هذا النص فإن مفهوم الحريــة لا يمكن أن يمثل ظاهرة ، بل فقط شــئ في ذاته ، ليس معطى في الحدس ، و هذا ما جعل دولـوز يستخلص ثلاثة عناصر ترتبط بالحرية .

---

[1] ـ جيل دولوز ، فلسفة كانط النقدية ، مصدر سابق،47.
[2] ـ المصدر نفسه ، ص، 50.

أولا : إن المعرفة التي تقوم حصرا على الظواهر مضطرة لأجل مصلحتها الخاصة بأن تطرح وجود الأشياء في ذاتها ، بوصفها لا يمكن أن تكون معروفة ، بل ينبغي أن تفتكر لتقوم مقام أساس للظاهرات المحسوسة بحد ذاتها إن الأشياء في ذاتها يتم إفتكارها كنومين أشياء معقولة أو ما فوق محسوسة و تتجلى حدود المعرفة و تحليلها إلى شروط الحساسية.[1]

إن دولوز يرجع الى التقسيم الكانطي، الكون الى قسمين ، عالم النومين و عالم الفينومين ، العالم الاول يشكل حدود لتعرفة قد يعجز العقل عن تجاوزها .

و لكنه في الوقت نفسه ، يعمل على إحالة المعرفة إلى شروطها الحسية التي تتوفر في عالم الظواهر ، المحكوم بالحتميات المختلفة ، لذا فالمعرفة العقلية قد تقوم مقام الأساس للظواهر الحسية و منه يمكن للكائن البشري أن يتجاوز تلك الحتميات أو يتحكم فيها من أجل تحقيق حريته .

ثانيا : ‹‹ و بوصفنا أفهاما أو كائنات عاقلة ، علينا أن نفتكر أنفسنا كأعضاء ، عالم معقول أو ما فوق محسوس موهوبين سببية حرة ››.[2]

لأنه حسب دولوز الحرية تنسب إلى الشئ في ذاته ، لأنه ينبغي إفتكار النومين كحر ، و هنا يرجع دولوز إلى كانط (kant 1724-1804) و الإنسان ما دام يملك عقل و إدراك و يتمتع بملكات فعالة لا يمكن إختزالها إلى مجرد الحساسية ، في هذه الحالة يمكن له أن

[1] ـ جيل دولوز ، فلسفة كانط النقدية ، مصدر سابق،50.
[2] ـ المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

يعيش الحرية ، لأنه يملك ما يفوق المحسوس و يستطيع أن يرتقي إلى ما هو أوسع و أكمل .

ثالثا: إن مفهوم الحرية كمفهوم شئ في ذاته (نومين) ، قد يبقى محض إشكالي غير محدد و إنا كان ضروريا مع أننا رأينا سابقا أن العقل وحده يحدد مفهوم الحرية عبر إعطائه حقيقة موضوعية .

‹‹ ففي الواقع ، حيث القانون الأخلاقي قانون الإرادة تجد هذه الأخيرة نفسها يقصد الحقيقة الموضوعية – مستقلة تماما عن الشروط الطبيعية للحساسية التي تربط كل سبب بسبب سابق : " لا شئ سابق لتحديد الإرادة هذا ". لذا فإن مفهوم الحرية المفهوم الوحيد (فكرة العقل الوحيدة) الذي يعطي الأشياء في ذاتها معنى واقعه أو ضمانتها ، و يجعلنا ندخل بالفعل العالم المعقول ››.[1]

و يبدو من خلال النص السابق دولوز يعترف بدور العقل العملي في إعطاء مفهوم الحرية حقيقة موضوعية من أجل أن يشرع القانون الأفلاطوني ، قانون الإستقلال الذاتي فضلا عن كونه قانون لوجود المعقول .

لأن الكائن العاقل هو الذي يعطي لنفسه قانون بعقله ، خلافا لما يحصل بالنسبة للظواهر الأخرى، و هنا حسب كانط يظهر النومين للفكر يماثل المشرع و الذات ، فالإنسان هو جزء من الطبيعة التي يبين القوانين بخصوصها ، لأنه ينتمي إلى طبيعة ما فوق محسوسة، لكن بصفته عضو مشرع .

[1] ـ جيل دولوز ، فلسفة كانط النقدية ، مصدر سابق ،ص،50.

لأن القانون الأخلاقي هو قانون و جودنا المعقول ، تلتقي حوله كل الكائنات العاقلة .

لذلك فكانط يميز بين تشريعين و مبدأين مطابقين :

1 – التشريع بمفاهيم طبيعية: وهو التشريع الذي يشرع فيه الإدراك ، معينا هذه المفاهيم من ملكة المعرفة ، و ميدانه هو ميدان الظاهر لكل تجربة ممكنة، بوصفها طبيعة محسوسة

2– التشريع بمفهوم الحرية:_ و هو ذلك الذي يشرع فيه العقل ، محددا هذا المفهوم في ملكة الرغبة أي في مصلحته العملية الخاصة به ، و ميدان الأشياء في ذاتها المفتكرة كنومينات ، و هذا ما يسميه كانط الهوة الهائلة بين الميدانين.[1] إن دولوز يبدو متفقا مع كانط في حديثه عن علاقة العقل العملي بالحرية و بالقانون الأخلاقي الذي يكون في الأساس عقلي و كلي و غير خاضع لأي منفعة خاصة , لكي يكون فضاء الحرية فضاء أخلاقيا يمارس من خلاله الإنسان إنسانية و لا يسطو على ماللأخر و فقا لمبدأ الإحترام .

2– الفلسفة والسياسية :

يقول دولوز : « إن الدولة و المدينة ، على العكس من ذلك ، تقومان بإنتشال أقلمة ما ، لان إحدهما تقرب الاقاليم الزراعية بعضها من بعض ، و تقارن فيما بينها بإرجاعها الى وحدة حسابية عليا ، و الآخرى تكيف الإقليم و تحوله الى مساحة هندسية قابلة للأمتداد الى مسارات تجارية ، سوى تعلق الامر بالمجال الأمبريالي للدولة أو بالإمتداد السياسي للمدينة »[2]

[1] ـ جيل دولوز ، فلسفة كانط النقدية ، مصدر سابق،52.

[2] ـ جيل دولوز فليكس غتاري ، ماهي الفلسفة ، مصدر سابق ، ص،100 .

إن فلسفة دولوز السياسية تتسق بشكل كبير مع المبادئ المعرفية لتيار ما بعد الحداثة ، لانها تحتوي على أغلب المقولات التي يتبناها هذا التيار : الإختلاف ، و نقد التمثيل ، و تصدع الذات الإعتناء بالجسد ، و نهاية المشروع التاريخي .....ألخ ، و لكن هذا لا يعني أن فلسفة دولوز السياسية هي الصيغة الوحيدة المعبرة عن هذا التيار .

فإذا كان دولوز قدم فلسفة تمتلئ بنقد النظام الرأسمالي ، فإن جان فراسوا ليوتار من كتابة الوضع ما بعد الحداثة قدم فلسفة تقوم بتبرير هذا النظام و تسعى لتكريس الهوة بين الدولة الرأسمالية التي تمتلك المعلومات ذات المردودية الإقتصادية و الفاعلية السياسية و باقي بلدان العالم المحكوم عليها أن تعيش تحت رحمة الغرب، و الأجانب ، تحاول أن تنتزع مجالا للممارسة طبقا لقواعدها الخاصة المستقلة عن قواعد النظام العام ، حيث حاول دولوز أن يستبعد من التغيير الثوري ، قضايا أساسية مثل قضية نمط الأنتاج البديل إقتصاد السوق و قضية شكل الممارسة السياسية الذي سيعقب إنحسار الديمقراطية ، و هو بذلك نزع عن الثورة بعدها السياسي ، كما أن ربط الثورة بفكرة الرغبة و النزوع الشيزوفريني من إطلاق عنانها يجعل منها سلوكا لا واعيا بل أشبه بالعصاب و يجعل من قضية الوعي بالإغتراب و بأسبابه كأساس للممارسة الثورية أمراً هامشيا.[1] إن معالجة الثورة بهذا الشكل هو الذي يجعلنا نرى في فلسفة دولوز أول محاولة لصياغة فلسفة تدخل في الفوضوية بعد محاولة الفيلسوف الألماني شتيرنر (Max sterner 1806-1856) في كتابه " الأوحد و ملكيته " الصادر عام 1846 ، و ربما ماركس (Marx 1818-1883) و باكونين Bakounine

[1] ـ عبد الحليم عطية ، جيل دولوز سياسة الرغبة ، مرجع سابق ، ص،48.

(1814-1876) قد تعرضنا الى إشكالية أيهما أجدر بالمواجهة الإستغلال أم الطغيان ؟ فكانت إجابة ماركس ضرورة البدء بالإستغلال ليزول الطغيان من تلقاء نفسه ، عكس باكونين القائل بضرورة القضاء على الطغيان ليزول الإستغلال من تلقاء نفسه ، لتدخل فلسفة دولوز السياسية ضمن الإختيار الثاني وإن كان يختلف عن الفوضوية السياسة التقليدية كما هي عند باكونين و غيره .

كان دولوز إماما للمجموعة السيارية من الطلاب التي كانت موجودة في أحداث 1968 ، و التي كانت تسمي نفسها الفوضويون الراغبون (Anarco désirants)[1]

هذا ما يجعلنا في النهاية نقول أن دولوز يقدم لنا نمطا غريبا للأنسان الثوري , الذي لا يعرف من سيواجه ، و لا يملك فكرة أو تصور معين عن شكل المجتمع الذي سيكون بعد الفعل الثوري .

3- الفلسفة و الفن :

" إن الأثر الفني كائن إحساسي ، و لا شيئ غير دلك ، فهو موجود بذاته.[2]

إذا أنطلقنا من هذا النص يمكن النظر إلى الفن على أنه كائن قائم بذاته له عمر زمني يعيشه ، و ربما بعد إنقصاء هذا العمر يحفظ ذلك الفن بالرغم من أنه في الواقع لا يدوم أكثر من حامله و من موارده التي يتشكل منها (الحجر ، القماس ، و اللون الكميائي .... الخ) و عليه فالفن هو الشيء الوحيد في العالم الذي يحفظ ، فهو يحفظ و يحفظ بذاته

---

[1] ـ أحمد عبد الحليم عطية، جيل دولوز ، سياسة الرغبة، مرجع سابق ،ص،50.

[2] ـ جيل دولوز فليكس غتاري ، ماهي الفلسفة ، مصدر سابق ، ص،172 .

حكما ، فإذا كان الفن يحفظ فليس مثل الصناعة التي تضيف مادة لجعل الشيء يدوم، فالفن بحفظه للإحساس و المدرك يحصل على ما نسميه أثرا فنيا لهذا يعتبر دولوز إن الشعور فكر ، ألهذا تتقلص المسافة بين الفن و الفكر ؟ حتى لم يعد من الممكن التميز بين المجال الفني و الجمالي و القيمي عامة ، و المجال الفكري الفلسفي حصريا ؟[1]

« يبدو أحياناً أن الفنان و الفيلسوف بالخصوص ، عبارة عن مجرد صدفة في عصره ... تقوم الطبيعة التي لا تقفز ابدا مع ظهوره بقفزتها الوحيدة وهي قفزة البهجة ، لانها تشعر أنها تحقق لأول مرة الهدف ».[2]

إن أفلاطون قد طرد الفنان من الجمهورية ، نظرا لإبتعاده عن الحقيقة مرتين ، و لكن دولوز يعلي من قيمة الفن و يرقى به إلى مستوى الفكر .

و لعل الخلفية الكامنة وراء هذا الإعلاء للفن لكونه يعبر بشكل عام عن الحياة لأن المبدعين هم الذين لهم القدرة على تشخيص الأعراض و التعبير عنها ، لا من أجل وصف حياتهم الشخصية ، بل من أجل أن يجعلوا مما شخّص شيئا أخر أشمل من الشخص لتتحرر الحياة مما يشدها إلى قيمة أو إلى وثن ما إن الفنان يشبه الفيلسوف ، هو شخص له صحة هشة ، و عضوية ضعيفة ، و توازن سيء ، مثل سبينوزا و نيتشه و غيرهم أمثلة عن مختلف العلل التي يصاب بها هولاء غير أن ما يجعل تجربة هولاء تجربة إنسانية

هو مقدار الصحة التي تحملها تلك التجارب إلى الأخرين ، أي بمقدر النضج و التشخيص الذي يقومون به ، فهم يتميزون بقدرة و بقوة ترقي بأحاسيسهم و بإنفعالاتهم إلى مستوى

[1] ـ خميس بوعلي ، جيل دولوز صورة الفيلسوف ، مرجع سابق، ص، 239.
[2] ـ جيل دولوز ،كلير بارني ، حوارات في الفلسفة ، مصدر سابق ، ص، 14.

الأفكار ، كما تجعل من يقرأ لهم يجد في الفن مايشبه الطب لأن ميزة الفن على الفكر هي حرارة الحياة التي تجدها فيه أو كذا محافظته على الحدث لا تصورا و إنما إحساسا و إنفعالا .[1]

ماهو الفن ؟ و ماهي علاقته بالفلسفة و الحياة حسب دولوز؟

يقول دولوز : « عل أن الفنان لم يعد لديه شيء ليقوله إذا غدا عاجزا عن إبداع إحساسات جديدة و لم يعد يدري كيف يحفظ و يتأمل و يدغم ».[2] فالأحاسيس ليست أدوات و إنما هي موضوع الفن ، هي ما يجعل المادة تأخذ شكلا و تتعين في مشهد ، إن الفن هو مجال تركيب الأحاسيس و لعل الأدب هو أبرز مجالات الإبداع و أوسعها في هذا الشأن ، فالأديب مثلاً يشتغل على أحاسيسه او مؤثراته الأولية ، لأنه لحظة الإبداع تحول الإحساس الى مدرك حسي أو الى تصور حسي إذ لما كان الإدراك هو حضور المدرك في دهن المدرك فإنه يترافق مع شعور ما ، و هنا يكمن دور الفن في المحافظة على الإحساس و على المدرك أو على الاثر الفني بشكل عام .[3]

و عليه فإن هذا الإحساس عندما يخلق و يستقل عن صاحبه ، يتعين في الكلمات أو في مادة ما و يصبح هذا الإستقلال للأثر الفني عن مبدعه هو شرط إنخراطنا كقراء له أو متذوقين للفن ، مادام هذا المركب الفني كصيرورة إحساس فإن هدفه دائما هو تحويل الإحساس إلى علامة ليبتعد بذلك عن الرأي و ترتيب الاشياء و الأحاسيس السائدة من أجل

[1] ـ خميس بوعلي ، جيل دولوز صورة الفيلسوف ، مرجع سابق، ص،ص، 293-294 .
[2] ـ جيل دولوز ، فليكس غتاري ماهي الفلسفة ،مصدر سابق، ص، 219.
[3] ـ خميس بوعلي ، جيل دولوز صورة الفيلسوف ، مرجع سابق، ص،295.

أن يلتقط موضوعيته من تعيين هدفه لا ليغرق في ذاتية الفنان.[1]

إن مقاربة دولوز في إعتبار أن سمة الأدب الحديث الأساسية هي تخليه عن فكرة : قول الأشياء، و قول العالم ، و تأكيده على أن حداثة الأدب في إشتغاله الداخلي في الكيفية التي تعمل بها الالة من الداخل , إستنادا إلى شعار: « الأثر الفني الحديث هو ألة" أي انه لا يكون تابعا لأي هوية خارجية او أي مرجع او وضعية خارجية إنها سمة " العالم الحديث الاساسية »[2]

فهدف الإبداع الأدبي هو التعبير خارج اللغة ،فلما كانت اللغة مبنية بأنظمة فإنها لا تسمح إلا بالقليل من الخروج عنها ، فالفن يبدع داخل الكلمات ، و لما كان يتعامل مع اللغة فإن حركته تستهدف اللغة نفسها يريد إرباكها من الداخل ، لأن الروائي ينخرط في صراع ضد اللغة ، فهو لا يبحث عن متوافقات و تواطأت و لا عن تحقيق نظام الكتابة ، النحو و البلاغة،إنه يسعى إلى التموضع بعيدا عن الأراء و عن المشاعر الأليفة لينتج أحاسيس مرعبة التي لا يجدها في اللغة العادية ليخرج عن رقابة تأسر حياته .

لذلك تتحول الكتابة الأدبية إلى أرصنة جديدة تماما كالرمل هم الأدباءو الفنانون إنهم رحل لأنهم لا ينتقلون كثيرا , تنقلهم يكون داخل اللغة .

هذا ما يجعلنا إزاء منظور جديد للأدب يستمده دولوز من النقد الأدبي و الروائي خاصة و إن الرواية الحديثة بعد النقد البنيوي لها ، قد تخلت عن مفهوم البطل ، و أصبحت صيرورات فردية و منظور جديد لعلاقة الفلسفة بالأدب ، حيث أصبح من الممكن للفلسفة

---

[1] خميس بوعلي ، جيل دولوز صورة الفيلسوف مرجع سابق ص، 295.
[2] ـ جيل دولوز ، نقلا عن خميس بوعلي ، جيل دولوز صورة الفيلسوف، مرجع سابق ،ص، 296.

أن تستعير مشاهدها، وأدواتها المفاهمية من لغتها المستخدمة من الرواية ، و الحدث ، و الشخصية و الأسلوب ... الخ .[1]

فالفلسفة ربما كان نموذجها المعهود هو العلم و الرياضيات اللذان يتميزان بالدقة ، التي لم تعد مطلوبة اليوم لذا الفلسفة المعاصرة ،لأن الفيلسوف مطالب بإنتاج أكبر قدر من الحرية ، بالإنفتاح أكثر على الحياة لتشخيص أمراض الاخرين و ذلك بمساعدة الفن له ، مما يجعلنا نؤكد على أن العلاقة التي عمد دولوز إلى بنائها بين الفلسفة و الأدب تكمن في قدرة الأدب على تجلية صورة أو حدث أو إزالة قليل من الرأي و التصلب و العناد.

---

[1] ـ خميس بوعلي ، جيل دولوز صورة الفيلسوف ،مرجع سابق ص، 299.

III-المبحث الثالث : مقاربة نقدية

بعد عرضنا الموجز للفلسفة وعلاقتها بالمفهوم عند دولوز و مجالات التفلسف عنده ،وكذا بعض المفاهيم الخاصة به ، تبين لنا، أن دولوز يرفض الفهم التقليدي للفلسفة الذي يعدها تفكيراً أو تأملا أو تواصلا ، و لكنه في حقيقة الأمر لم يخرج عن المباحث التقليدية للفلسفة، و لهذا سوف نتعرض لفكر دولوز من خلال مقاربتين نقديتين :

اولاً – المقاربة النقدية الاولى: و تكون هذه المقاربة النقدية في حدود المباحث التقليدية للفلسفة

1- من الناحية الانطولوجية: كان تساؤل دولوز الأساسي يقول: كيف تكون الفلسفة ممكنة في عالم لا يؤمن بالنظام؟ كيف تكون النظرية الكلية ممكنة في زمن لا يؤمن بغير الجزئيات؟ بصورة أخرى، كيف نؤسس لوجود العالم نظريا ، دون أن يفقد ماديته؟[1]

من خلال هذه التساؤلات يمكن ملاحظة أن تلك المشكلات التي يثيرها دولوز لا ينبغي أخذها بقصديه المعنى الذي يتبادر إلى ذهن القارئ للوهلة الأولى ,كأن يعتقد البعض أن العالم يسير دون نظام ،لان تساؤلات دولوز تندرج تحت إطار الفكر ما بعد حداثي ، الذي يتميز بطروحات تقع خارج النمط التقليدي ,وصياغته و أهدافه و هكذا مبحث الوجود يعرض نفسه .

[1] - عادل حدجامي ،فلسفة جيل دولوز في الوجود و الإختلاف ، مرجع سابق ،ص ص،5-6 .

2-<u>من الناحية الابستيمولوجية :</u> جاء سؤال دولوز مهتما بالكيفية التي تمكننا من بناء تصور في المعرفة و لكن دون الرجوع إلى مفاهيم مثل ,الماهية ,الجوهر ،الحقيقة، و كذا دون الاتكال على الصورة الوثوقية للفكر عامة ،أي كيف تكون الفلسفة كمعرفة ممكنة دون التنازل لدعاوي نهاية الفلسفة.[1] في صورتها التقليدية الحداثوية ، تلك الصور التي تعتبر فاشلة في نظر دعاة ما بعد الحداثة ، لأنها لم تف بوعود تحرير الإنسان و تحقيق رفاهيته ، و هنا يقف دولوز بقوة للدفاع عن شرعية الفلسفة انطلاقا من الاختلاف و ليس وفق نموذج التاريخ التقليدي للفلسفة.

3-<u>من الناحية الاكسيولوجية :</u> كل محاولات دولوز في الفلسفة تعد بمثابة محاولة للخروج من الشق التقليدي و الأحادي التأسيس إلى المتعدد و المختلف ، من خلال الإختلاف ذاته كمفهوم للمغايرة و شرط لتحقيق العبور الذي يؤسس للحياة ومنه كيف يمكن التأسيس لفكر يؤمن بالحياة كقوة تعددية اختلافيه تتجاوز كل ماهو جوهري يتم التأسيس وفقه مثل ، الإنسان، العقل، التاريخ؟ و بالتالي كيف تكون نظرية متماسكة في القيم دون السقوط في التجريد الكانطي؟ كيف نبني عقلا عمليا دون التسليم للتوجيهات النظرية الرخوة ،كنظريات الحوار أو أخلاق النقاش و التواصل.[2] كما هو الحال في دعوى هابر ماس (Habermas 1929) *مثلا. هكذا يمكن أن تقول عن فكر دولوز الذي حاول طرح السؤال خارج الصيغة

---

[1] ـ عادل حدجامي ،فلسفة جيل دولوز في الوجود و الإختلاف ، مرجع سابق ،ص ص،7-8 .

[2] ـ المرجع نفسه ،ص، 9 .

*ـ يمثل الفيلسوف هابرماس أحد أبرز ممثلي الحداثة ، و صاحب المقولة الشهيرة ، الحداثة مشروع لم ينجز بعد ،الى جانب كونه أحد دعاة فلسفة التواصل بإعتبارها معيارية عامة نحتكم إليها حينما ينشأ النزاع الإجتماعي .

التقليدية لنمط الحداثة و مشروعها كنموذج ، و لكنه في النهاية لم يخرج عن الموضوعات المطروحة على مستوى المباحث التقليدية للفلسفة .

و عليه يمكن لنا أن نقترب نقديا من فكر دولوز من خلال من عاصره و تحاور معه .

ثانياً –المقاربة النقدية الثانية :

أن المتتبع لفكر دولوز ،قد يخوض مغامرة غير مضمونة النتائج ,وذلك نظرا لاسلوبة الكتابي المعقد و الغريب ، و قد تزداد الغرابة أكثر عندما نتأمل لائحة الموضوعات التي عالجها، ضمن الفلسفة إلى الأدب ، ومن المسرح إلى التحليل النفسي و من الموسيقى إلى الشعر، كل هذا يتم باستخدامه لمستويات منهجية مختلفة تتراوح بين التحليل النفسي و البنيوية و التفكيكية و الأسلوب الجمالي و الفنى الذي يوظف مختلف أنواع التعابير الحية.

و على الرغم من وجود تراكم معرفي ملحوظ : كتب ، مقالات ، محاضرات ، مقابلات ،إلا أن كتابات دولوز لم تحقق المقروئية المنتظرة ، كما هو الحال بالنسبة لمعاصريه .

فإذا رجعنا إلى مقاربة ريمون بلور الذي حاوره دولوز سنة 1988، يقول عن كتاباته :

« هذه الكتابات صعبة و متنوعة ، وعنيدة ، لا يمكن التنبؤ بما ستحمله دائما ، إنها في اتصال مباشر مع كل ما تبقى من كل شيء (الفكر ، والفن و العلوم ، و الأجساد ، و الحيوانات) و هي من جهة ثانية تستبق بشكل دائم كل ما تلمسه بحيث يتحول الوجود

الحادث في إطارها إلى وجود بالقوة انطلاقا من أن الفلسفة الأولى هي خلق المفاهيم بغرض فتح فضاءات بين ماهو آت و بين ما سيأتي و التموقع داخلها».[1]

و إذا كان هذا التنوع و التباين ، قد يشكل عائقا منهجيا أمام قراء أعمال دولوز و فهمها ,قد يشكل في المقابل عامل غنى و ثراء يجعلها مفتوحة على مداخل متعددة و منفتحة على العوامل الفكرية المتباينة ، بدل التموقع داخل نسق فلسفي جامد يجعل من حركتها محدودة .

لذا فان القوة المركزية الأولى في فكر دولوز هي هذا التجاذب بين الإحداث و الأفكار و الإحداث و الأماكن و الإعلام ، وتجاذب يشكل الأرضية الخصبة لإبداع المفاهيم و نموها انطلاقا من أن المفاهيم تؤدي دور الإسناد الرئيسية و المحرك لكل عملية قصديه لإنتاج المعارف عبر نظام اللغة ، ولان ثقافة الإنسان و تراكم معارفه المختلفة و كذا رؤيته للواقع هي في نهاية المطاف ما تحدد معني المفاهيم أثناء استعمالها.

ومادامت المهمة الأولى للفلسفة عند دولوز هي خلق المفاهيم و نحتها وهي مهمة تتفرد بها وحدها عن باقي المعارف الأخرى ، من حيث كونها مبحثا جينالوجيا لايتوقف عن ابتكار المفاهيم و غرسها وسط الحقول المعرفية المختلفة .

فالمفهوم عنده يمنع الأفكار من أن تتحول إلى مجرد محادثة أو دردشة عابرة, أو أراء بسيطة فكل مفهوم هو مفارقة بالقوة.[2]

هكذا تصبح الفلسفة فضاء لممارسة الحرية و عدم الخضوع لأية وصاية مذهبية أو أيديولوجية

---

[1] ـ عمر مهيبل ، من النسق الى الذات ، (ط1 ؛ لبنان ،الدار العربية للعلوم ناشرون2007) ،ص ص،193-194 .
[2] ـ المرجع نفسه ، 191 .

يمكن أن تشكل في لحظة ما، عائقا إبستيمولوجيا، يبعد الباحث أو الفيلسوف عن مصدر الحقيقة .

إضافة الى الإنتقادات السابقة الذكر لفكر دولوز ، يمكن إضافة إنتقادات أخرى ، لقد كان دولوز يعطي لكل فكر فيلسوف صورة جديدة لا يعرفها عن نفسه ، وهذا ما جعل ميشال فوكو يقول احتفالا بصدور كتابين لدولوز هما:

"الإختلاف والتكرار" و"منطق المعني" جملته المشهورة: في يوم ما سيصبح هذا العصر دولوزيا.[1]*

فدو لوز رغم أنه ليس صاحب مذهب فلسفي أو نسق معين ، ولكن فكره مبني علي اتساق و تناغم في المواقف يجعلك تشعر و أنت تقرأ له، في كل الاتجاهات و في مختلف المواضيع, أنه لايتناقض فيما يقول، وأن كل فكرة تمهد لغيرها، حتى تكاد تجزم أنك قد رجعت من جديد للنسقية ، وأنك تعيش في مجال واسع من الحرية أكثر مما تضمنه النسقية التي قد تحد أكثر من مجال الحرية ، كل هذا من أجل أن لا تبقي الفلسفة مجرد إنتاج لتاريخها ، ويكون بذلك الإثراء ألمفاهيمي و القدرة على التجديد ,حتى يتمكن الفيلسوف من التشخيص الدقيق لما يحدث والتنبؤ الصادق لما سيحدث.

---

[1] ـ عمر مهيبل ، من النسق الى الذات ، مرجع سابق،ص،191.

*- Mais un jour peut étre le siècle sera deleuzien

هكذا فالفلسفة المعاصرة في مجال السياسة مثلا قد اتجهت أكثر نحو الهوامش تاركة المركز لأصحاب السلطة الذين قد لا يستطيعون بسط نفوذهم على كل مكان في الدولة. ومنه تصبح الفئات المهشمة من النساء و الأطفال و المجانين

والشواذ ...الخ قوة ضاربة للمركز وقد تطيح به في أي لحظة نوهذا دليل علي أن فكر التشظى قد يكون أخطر بكثير من الفكر ألنسقي الذي سمته الانغلاق.

ومع ذلك فإن دولوز عندما أنتقد المسلمات الخارجية بإعتبارها صور ماقبل فلسفية و كذا إبعاد الصور الأخلاقية للفكر، تفاديا للوقوع في الوثوقية أو الفكر الدوغماتي ، فإنه لم يسلم من الوقوع في الطوباوية في نظري ، إذا اعتبرنا مسطح المحايثة هو المنطلق الأول لبناء المفهوم ، الأمر الذي يترك المجال مفتوح إلي مالا نهاية له من الممكنات، التي تجعل الفكر يتسارع أكثر مما يتحمل الواقع، وتقع الهوة بين هذا الأخير والفكر ، وتشكل أزمة للفلسفة المعاصرة مادامت لم تستطيع تجاوز الحداثة بشكل نهائي .

هذا ما يدفعنا إلي القول: أن دولوز أقرب إلي مركزية الإنسان بإعتماده علي نزعة انسانوية تجعل من الفكر والموضوع شيء واحد ، تلغي فيه جميع الحدود بين الذات و الموضوع .

الخاتمـــــــــــة

وفي خاتمة هذا البحث توصلنا إلى مجموعة من النتائج و هي على التوالي :

محاولة دولوز توظيف المفاهيم التي أبتكرها مثل الجدمور ، الترحال ، السياسات الصغري عند الإحاطة بظاهرة التغيير الثوري في المجتمع الرأسمالي ،ولهذا كان له الأثر البالغ فى إثراء الرصيد المعرفي الفلسفي بمصطلحات جديدة ,لم تكن معروفة من قبل فى الفلسفات السابقة .

– تجاوز الفلسفة بصورتها التقليدية خاصة التعريف الإغريقي الأرسطي بحيث لم تعد الفلسفة تحلق فى فضاءالمجرد و الماورائي ، بل أرتبطت بكل ماهوحدث، يعيشه الإنسان واقعيا بعيدا عن البحث في المبادئ الأولى ، إضافة إلى تجاوز العقل الخالص و زعزعة كل تعريف منطقي لينقل الفلسفة من طوباوية البحث عن الحقيقة إلى حيز أدوات البحث .

– تعددية المفاهيم يفترض مداخل عديدة و متنوعة التي يؤدي بعضها إلى البعض الأخر ، أكثر مما يتجه الجميع في إتجاه واحد ، وفق نسق معين ، أي رفض للنسقية بشكل عام، حتي يبتعد العقل عن أي أحادية فى الفكر.

– ضرورة الإعتماد على العقل الإختلافي كعقل جديد يحدد الأنا من خلال وجود الأخر، الأمر الذي دفع جيل دولوز إلى الإحتفاظ بصفة الموسوعية من الفلسفة القديمة ، وهي بمثابة الأساس للتفكيرالفلسفي على إعتبارأن الإختلاف يصنع تفكيرجديد بشكل لانهائي

. في ظل سيطرة التكنولوجيا و عالم الميديا على كل شئ حتى صناعة المفاهيم فإن جيل دولوز منح للفلسفة وظيفة حيوية متجددة تجعل منها قادرة على تجاوز الأزمات الظرفية التي يمكن أن تواجهها .

– الفلسفة المعاصرة من خلال دولوز هي فلسفة إنزياح الذي صار يجسد ما يريده الفيلسوف, بشكل أكبر مما يمكن أن تقدمه الإحالة التاريخية الفيلولوجية التي صار إليها الفلاسفة .وهذا ما وسّع من مجال الحرية على مستوى إبداع المفاهيم.

– الفلسفة المعاصرة أصبحت تطرح سؤال اللغة ، على إعتبار أن اللغة لم تعد وعاء أو مجرد ناقل ، بل صارت هي نفسها محل لإنتاج الحقيقة هذا الأمر الذي تجاوز الفلسفة إلى الأدب و الموسيقى,بحيث صار حقل المعرفة أكثر تداخلا و تشابكا من حيث المواضيع.

– حتى الإستدلال في الفلسفة المعاصرة لم يعد يقصد به كيفية الإستشهادات و لم يعد أيضا متعلق بالإحالة إلى شئ حقيقي معرفيا ، بل صار يتعلق بالقوة الإيحائية لما نستشهد به (لمسيح أو زرادشت نيتشه) .

– التحرر من فلسفة الجوهر ، و بناء فلسفة متميزة تتعاطى مع السطح لتستعمل من خلاله المفاهيم بعيدا عن أي دوغماتية أو إنحياز وبذلك دولوزيعتبر أن جوهر الفلسفة هو خلق دائم و دائب للمفاهيم و تدشين لفلسفة الفعل على حساب ميتافيزيقا الوجود .

حتى يبقى التجدد سمة الفلسفة التى لاتفارقها، بحيث يصبح الفرق هو الذي يساهم بشكل مباشر فى إثرائها على الدوام وفق صور لاتستسلم للنمدجة أو القوالب المتحجرة .

الفصل الثالث ـــــــ